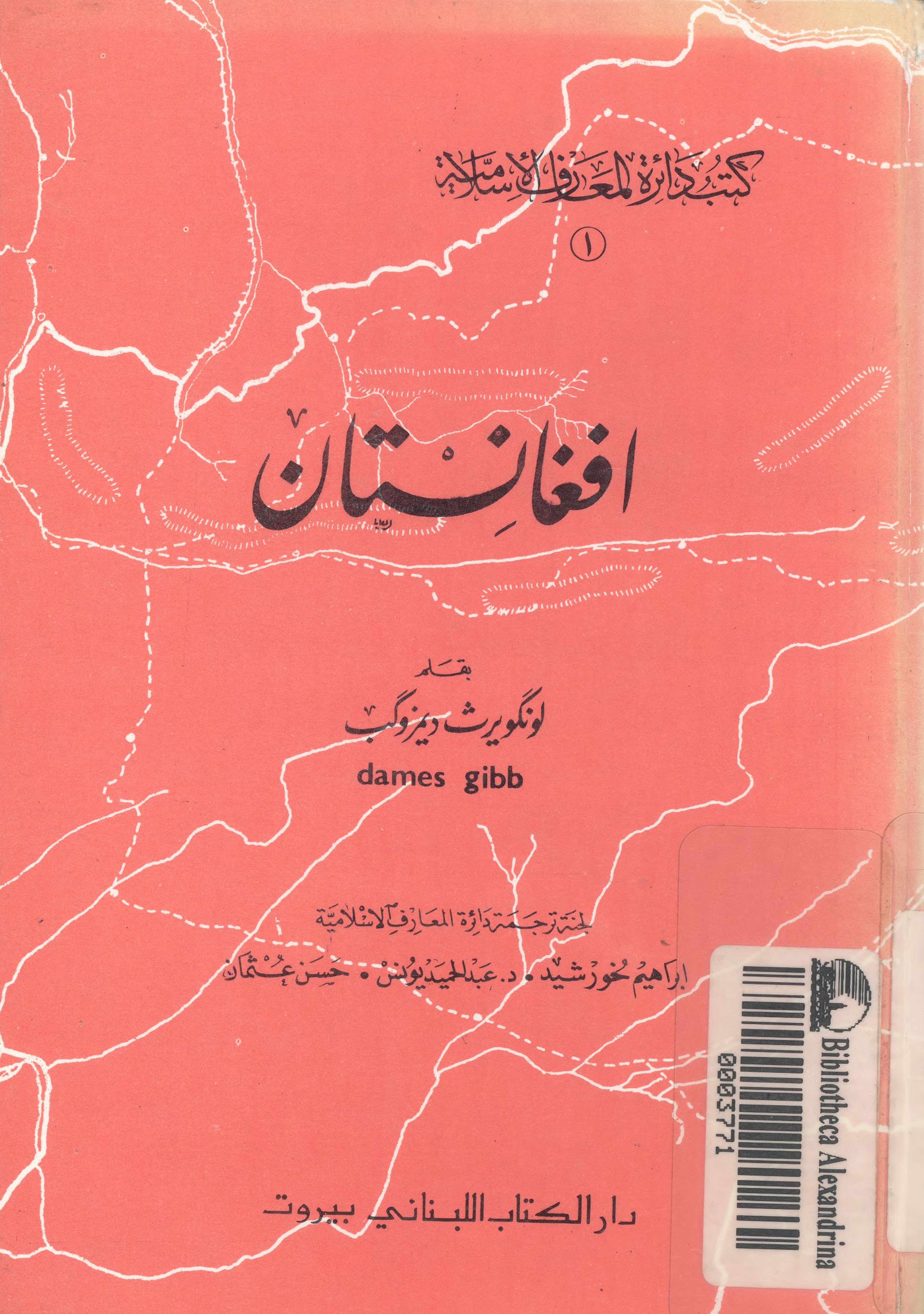


كتب دائرة المعارف الاسلامية
(١)

افغانستان

بقلم
لونگويرث ديمز وگب
dames gibb

لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية
ابراهيم خورشيد . د. عبد الحميد يونس . حسن عثمان

دار الكتاب اللبناني بيروت

افغانِستان

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبنان)
تليفون ٢٥٧٤٧٠ ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L.
LE BEIRUT

دار الكتاب المصري
القاهرة ج.م.ع
٣٣ شارع قصر النيل - ص.ب ١٥٦
ت ٧٤٢١٦٨/٧٥٤٣٠١ - برقيا (كتامصر)
TELEX No 2336 CAIRO
A.T.T 134 K.T.M.

الطبعة الاولى

١٩٨٠

كتب دائرة المعارف الإسلامية

(١)

افغانستان

بقلم

لونكويرث ديمز وكب

dames gibb

لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية

ابراهيم خورشيد . د. عبد الحميد يونس . حسن عثمان

دار الكتاب اللبناني — دار الكتاب المصري

بيروت - لبنان   القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دائرة المعارف الاسلاميـــة هي في قول الأستاذ الكبير محمد كرد علــي الـــذي كان رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق : « أجمع ما كتب عن بلاد الاسلام ورجالــه » ، فقد توافر علــى تأليفها أئمة المستشرقين في العالم وصدرت تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية ، وشملت بحوثاً لم يسبق أن كتب مثلها في اللغة العربيــة ، ذلك أن هؤلاء المستشرقين قد تيسر لهم المنهج العلمي السليـــم والمراجع التي لم تتيسر لنا ، وأكبوا علــى دراسة الحضارة الإسلامية التي مثلت فيما مثلـت حضارات اليونان والروم والفرس والهنود ، وضمت أمماً مختلفة الأمزجة والطبائع ، فلم تكن في الحق حضارة العرب وحسب ، وإنما كانت حضارة الأمم الاسلاميــة

كلها ، أجل لقد درس هؤلاء المستشرقون تراث تلك الحضارة العظيمة بما فيه من دين سمح رضيّ كريم ؛ ومن لغة غنية بمفرداتها مرِنة كل المرونة باشتقاقاتها ، جميلة برسم حروفها ، ومن أدب يصوّر نبضات القلوب وخلجات النفوس ونجوى الضمائر ، ومن تصوف وفناء في التأمل ، ومن فلسفة قد بلغت الغاية في العمق والشمول ، ومن حكم وتشريع لم تصل الانسانية الى خير منهما .

وقد أسهم الأئمة من علماء المسلمين وكتّابهم الكبار في التعليق على بعض مواد هذه الدائرة التي تستحق التعليق أو التكملة أو التعديل مما جعل الترجمة العربية لها أميز من الأصل وأشمل .

وقد طلب إلينا الكثير من القراء العرب والمسلمين أن نصدر سلسلة من الكتب تشمل طائفة من البحوث الهامة التي تنشرها هذه الدائرة ، وها نحن أولاء نستجيب لطلب هؤلاء القرّاء الأعزاء .

ولسنا نجد أولَى بالتقديم في هذه السلسلة من « أفغانستان » فهي موضوع الساعة ، وقد هزَّ العدوان السوفيتي الغادر عليها مشاعر المسلمين في جميع أنحاء الأرض ، وأثار استنكار الشعوب كافة على اختلاف سياساتها ومذاهبها ، ولاشك أن إصدار هذا الكتاب كفيل بتعريف القراء بهذه الدولة ، فهم في شوق إلى معرفة تاريخها وأخبارها وكل شيء عنها .

وقد كتب المقالات الوافية عن أفغانستان الشقيقة جملة من أئمة المستشرقين أمثال جب ، ولونجويرث ديمز ، ومورجنستيرن ، وغرشمان .

ويسعد اللجنة أن تحيّي دور : الكتب الاسلامية ، والكتاب المصري ، والكتاب اللبناني ، والكتاب العالمي . فقد أقبلت على نشر هذه السلسلة عن طيب خاطر ، ولا يسعنا إلا أن نشكرها على ما ادّت من خدمات جليلة في سبيل نشر

الـكتاب العربي والإسلامي ، وإنا لنؤمن بأن هذه السلسلة سوف يفيد منها جمهور القراء من العرب والمسلمين .

والله وليّ التوفيق . .

ابراهيم زكي خورشيد
رئيس تحرير النسخة العربية
من دائرة المعارف الإسلامية

افغانستان

١- جغرافيتها
٢- أجناسها
٣- لغاتها
٤- دينها
٥- تاريخها

١ ـ جغرافيتها

القطر الذي يعرف الآن بأفغانستان لم يحمل هذا الاسم إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر حين استتبت السيادة فيه للجنس الأفغاني ؛ وكان من قبل أقاليم مختلفة تحمل تسميات متمايزة ، ولكن القطر لم يكن وحدة سياسية محددة ، كما أن أجزاءه لم تكن ترتبط فيما بينها بأي رباط يميزها من حيث الجنس واللغة . وكان المعنى الأول للاسم لا يتعدى مدلوله « بلاد الأفغان » ، وهي رقعة من الأرض محدودة لم تكن تضم كثيراً من أجزاء الدولة الحالية ، وإن كانت تشمل أقاليم كبيرة تتمتع الآن باستقلالها او تدخل في

حدود پاكستان . وأفغانستان ، في تكـوينها الحالـي تحت حكـم ملـوك من الباركـزائي (أمراء فيما سبق) ، تتكـون من صقع غيـر منتظم الشكل بين خـطّي عرض (۲۹ْ ۳۰َ) و (۳۸ْ ۳۰َ) درجة شمالاً ، وبين خطّي طول (٦١ْو٧٥ْ درجة) أو (٧١ْ ۳۰َ درجة) شرقاً إذا أسقطنا تلك الشقة الطويلـة من الأرض المعروفة باسم « وَخان » .

التكـوين الجيولـوجي : هذا القطر هو الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة الإيرانية الكبيـرة (انظر مادة « إيران ») ، ويحده من الشمال الغور الأسيوي الأوسط ، وإلى الشرق منه تمتد سهول السند والولاية الشمالية الشرقيـة لپاكستان القائمة علـى الحدود ، ويهبط القطر إلى الجنوب والغرب منحدراً حتى يندمج في الصقع المنخفض الـذي يشغل الجزء الأوسط من الهضبة ، وهو يتصل من جانبه الجنوبي الشرقي بمجموعة جبال بلـوچستان . والحاجز الشمالـي من

الهضاب هو سلسلة الجبال التي تمتد غرباً من الپامير بما فيها حافتها البارزة « بندٰ تركستان » التي يمتد فيما وراءها بسيط من الرمال ورواسب الطمي حتى يبلغ نهر جيحون . وفي الشرق ينحدر القطر انحداراً فجائياً نحو نهر السند . ومن ثم فلسوف نرى أن القطر كله ، باستثناء سهل التركستان المكون من رواسب الطمي ، ينتسب إلى الهضبة ، التي هي في ذاتها تكوين جيولوجي متأخر من العصر الثلاثي قوامه الحجر الرملي والحجر الجيري . وكان الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة فيما سبق جزءاً من محيط كبير يصل غور بحر قزوين بسهول پاكستان . والثوران الذي رفع الأرض لا يزال يعمل عمله ، ويرى هولدخ أن الخوانق العجيبة في مبلغ عمقها ترجع إلى أن فعل التآكل في الأنهار أبطأ من أن يتمشى مع حركة الثوران التي ترفع الأرض .

صفة الجبال : أبرز طابع لمجموعة الجبال هو سلسلة الجبال الشمالية التي تمتد من الشرق إلى الغرب والتي أشرنا إليها فيما سبق قائلين إنها الحد الشمالي للهضبة ، وهي تقسم أقاليم التركستان في الشمال (باكتريا القديمة) عن ولايات كابل وهراة وقندهار (آريانا وأراخوزيا القديمتان) في الجنوب . وتعرف هذه السلسلة الرئيسية بأسماء شتى مثل هندوكش (انظر هذه المادة) في الشرق حيث تنشعب من الپامير ؛ وكوه بابا أبعد من ذلك غرباً ؛ وكوه سفيد ؛ وسياه بُبك قرب هراة . وتعرف سياه ببك عامة باسم « پاروپاميسوس » ولو أن پاروپاميسوس الحقيقية (أو پاروپانيسوس عند بطليموس) تشمل جبال هندوكش ـ والجزء الأكبر من القطر جنوبي هذه السلسلة يشغله عدد من سلاسل الجبال الفرعية أو طنوف ممتدة تسير من الشرق إلى الغرب ،أو قل إذا شئت التعميم من الشمال الشرقي إلى

الجنوب الغربي ، وهذه السلاسل هي والوديان التي تتخللها تكوّن الجزء الأكبر من ولايتي هراة وقندهار ، على حين أن الكتلة المشتبكة من الجبال التي تقوم إلى الشرق من هندوكُش تشمل واديَي نهرَي كابل وكُرَم وتكوّن ولايتَي كابل ونورستان . وأعلى مرتفع في السلسلة الشمالية هو قنة شاه فولادي (١٦,٨٧٠ قدما = ٥١٥٨ مترا) في كوه بابا ، والطنف الممتد الذي يتجه إلى الجنوب الغربي يشمل عدة قنن يبلغ ارتفاعها حوالي ١١٠٠٠ قدم (٣٣٥٣ متراً) : أما الحواجز التي تقسم هلمند ، وترنك ، وأرغنداب ، وأرغسان فهي خارجة عن هذه المجموعة من الجبال ، ويمكن أن نتتبعها أبعد من ذلك جنوباً بشرق حتى بلوچستان . وأما سلسلة جبال سليمان (وأعلى قممها هي « تخت سليمان » ، ١١,٢٠٠ قدم = ٣١٤٥ متراً) التي تهبط آخر الأمر إلى وادي السند وتكون الحافة الشرقية للهضبة ، فهي خارج

الحدود السياسية لأفغانستان ؛ والجبال التي تقوم أبعد من ذلك شمالاً علــى الجانب الشرقي للهضبة بين نهري كُرَم وكومل هي كتلـة أشد من غيـرها في عدم انتظام الشكل وبها قنن يزيد ارتفاعها على ١١,٠٠٠ قدم (٣٣٥٣ متراً) ، على حين تقوم أبعد من ذلك شمالاً ، وبين واديَي كابل وكرم أيضاً ، سفيد كوه ، وهي أعلى سلسلـة جبال في أفغانستان بعد هندوكُش وكــوه بابا (وأقصى قممها ارتفاعا قمة سكــارام : ١٥,٦٠٠ قدم = ٤٥٤٣ متراً) .

مجموعة الأنهار : وإذا سرنا شمالاً من هندوكُش نجد أن مستوى أرض القطر يهبط بسرعة متجهاً نحو وادي جيحون ، أما إذا اتجهنا جنوباً فإن الوديــان تنحدر في تدرج أكثر صوب غور سيستان (سجستان) الــذي يضم هلمندهامون (بحيــرة هلمند) وامتدادها « كــود زره » ، وتصب فيــه كل الأنهار الممتدة جنوبي هنـدوكش فيما عدا الأنهار التي

تنتسب إلـى مجموعة نهر السند . ومن ثم فإن أنهار أفغانستان تنقسم بالطبيعة ثلاث مجموعات يمكن أن نسميها : مجموعة نهر السند ، ومجوعة نهر هلمند (هند منذ) ، ومجموعة نهر جيحون ،

وتشمل مجموعة نهر السند نهر كابل وروافده وأهمها « تكـاو » و « كـونر » اللـذان ينبعان من هندوكُش من ناحية الشمال ، ولوغر الذي ينبع من كل كوه من الجنوب . وجنوبي هذا « كرم » الـذي ينبع من يَيْور وفرعه « توچي » الـذي يعرف مجراه الأدنى باسم « كمبيلـة » ، وهو يلتقي به في أرض پاكستان جنوبي الجبال . وأبعد من ذلك جنوباً أيضاً نهر « كومل » الـذي يفصل بين جبال وزيـرستان وتخت سليمان ، ويتكـون نهر كومل من التقاء « كُنْدَر » و « ژهوب » . وهذه الأنهار ، وإن كانت صغيـرة ، فإنها تروي مناطق شاسعة وتكـوِّن طرقاً مهمة من الـوجهتين العسكريـة والتجاريـة تخترق الجبال بين

الهند والهضبة . وهناك نهيرات أخرى مثل « وَهْوا » و«لوني » و « كها » و ناري » أبعد من ذلك جنوباً ، وهي تؤدي الغرض نفسه ، وقد يلاحظ أن كثيـراً من هذه النهيرات لا تجري بمحاذاة الوديان الطبيعية التي تكونها سلسلة الجبال ، ولكنها تقطع الحواجز من الحجر الرملي والجيري لجبال سليمان وتشق طريقها غائصة في خوانق وعرة .

أما المجموعة الثانيــة المعروفة بمجموعة هلمند (هند مند) فتتألف من نهر هلمند وروافده ، ومن أنهار أخرى تجري تجاه الجنوب الغربي حتى تدخل غورسيستان (سجستان) ، وهلمند (انظر هذه المادة) أو هِرمَنْد (هايتومنت في الأبستاق ، وإتيماندروس عند الكتاب اليونان والـرومان) هو النهر الأصلي ، وهو ينبع من مكان قريـب من كابل ويخطّ وديـاناً جبليـة ضيقة ثم يخرج إلـى أرض أكثر انفساحاً هي « زمين داور » حيــث يلتقي به نهر

« أرغنداب » من ضفته اليسرى (أرغنداب = هراهويتي ، أراخوتيس) ، ونهر أرغنداب يتكون هو الآخر من التقاء أرغنداب الأعلى وتَـرْنَك وأرغسان أو « أرغَسْتان » التي تروي سلسلة من وديان شبه متوازية متجهة اتجاهاً شمالياً شرقياً إلى جنوبي غربي ، وثمة نهر آخر من هذه المجموعة هو الذي يجري في اتجاه جنوبي من غزنة ولا يتصل أبداً بمجموعة هلمند ، ولكنه يندمج في بحيرة « آبستاده » الملحة ، والأنهار الأخرى التي إلـى الغرب من نهر هلمند وتجري في نفس الاتجاه الجنوبي الغربي العام وتصب مياهها في هامون هي : خاش رود ، وفراه رود ، وهاروت رود .

وهامون حوض يضيق في بعض الأحيان ، وينفرج انفراجاً عظيماً في الجنوب في مواسم الفيضان ، فيحول القلعة الجبلية « كوه خواجه » إلى جزيـرة ، ثم يجري في مجرى يسمى « شيلـغ » ثم يهبط إلـى

غور أوطأ هو « كود زره» أي بحيرة زره . وجزء من هامون في الأراضي الأفغانيـــة وجزء في الأراضي الفارسية بحسب التحديـد الحديـث الـذي قسم بلاد سجستان : وحوض هامون إنما يبلـــغ ارتفاعه فوق سطح البحر ١٥٨٠ قدماً وحسب ، أما بحيـــرة زره فأوطأ منه بعد ، وتفيض بحيـــرة هامون كل عشر سنوات في المتوسط فتصب ميـــاهها في كود زره ، وماؤ ها فيه شِيَة فحسب من ملوحة ويمكن شربه ، ولا شك أن هذا يرجع إلى فيضانها في بعض الأحيان . والــظاهر أن مستوى سيستان « سجستان » لم يرتفع منذ العصور القديمة على الرغم من الكميات الهائلة من الطمي التي تحملها إليها الأنهار التي ليس لها منفذ آخر . والراجح أن علة ذلك الرياح الشمالية الغربية العاصفة التي تهب في معظم أوقات السنة فتزيل الطبقة الخفيفة من ثرى سطح الأرض .

والمجموعة الثالثة ، أي مجموعة نهر جيحون ،

تشمل نهر جيحون وروافده الجنوبيـة ، ونهرَي « مُرْغاب » و « هري رود » اللذين يجريان أيضاً في اتجاه شمالـي إلـى السهل ولـكنهما لا يبلغان قط نهر جيحون . وكل هذه الأنهار تنبع من الجانب الشمالي للحاجز الجبلي الكبير فيما عدا « هري رود » (انظر هذه المادة) فهو ينبع من جنوبي « جبـل بابا » ويجري غرباً مخترقاً وادياً ضيقاً بين كوه سفيد وكـوه سياه إلـى سهل هراة ثم ينثني صوب الشمال ويجري في غور بالجبال ثم ينساح غائضاً في سهول التركستان الروسية فيما وراء ذي الفقار .

التكـوين العام : تفقد سلاسل الجبال ارتفاعها بصفة عامة كلما اتجهت صوب الجنوب والغرب وتتلاشى صعوبة المواصلات التي يلقاها المرء أقصى من ذلك شمالاً ، ومن ثم كانت الطريـق الميسرة للتجارة وللحرب بين هراة وقندهار دائريـة في جميع العصور تمر بسَبْزَوار وفراه وكرشك ، وتسلك طريق

وادي ترنك المستقيمة من قندهار إلى كابل وغزنة .

ويمكن بلوغ ولاية التركستان في سهولة من هراة حيث تهبط جبال پاروپاميسوس إلى ارتفاع لا يكاد يذكر ، ويمكن أيضاً بلوغ هذه الولاية من كابل مباشرة بعبور ممرات عسيرة تخترق جبال هندوكُش ، وهذه الممرات هي : خواك ، وباميان ، وغيرهما .

وهكذا تميزت مدن هراة وقندهار وكابل الثلاث بموقعها الطبيعي من حيث إنها أهم المراكز في القطر ؛ وكل منها تقوم في واد خصيب تكفي نفسها بنفسها ، وتسيطر كل منها على طرق هامة تؤدي الى المدينتين الأخريَين كما تؤدي إلى الهند وفارس وآسية الوسطى . فإذا كانت أفغانستان تريد أن تكون كلاًّ مستقلاًّ فإن امتلاك هذه المراكز الثلاثة يكون أمراً ضرورياً لحاكميها ، ولا يمكن أن يتيسر الاستقرار فيها إذا امتلك كلاًّ منها حاكم مستقل عن الآخر . وبهذا المعنى السياسي يجب أن تسلك غزنة وجلال

آباد مع كابل ، وتسلك بست وكـرشك من العواصم القديمة مع قندهار ؛ وسبزوار مع هراة ، وقد كانت سجستان ، القائمة على الطريق السهل من هراة إلى قندهار ، موضع نزاع دائماً .

وكـابل هي أقوى المراكـز من جميع الـوجوه ، ولـذلك كانت بعامّة أوسع استقلالاً من غيـرها من الكور ، أما هراة فقد كانت على العكس منها معرضة للهجوم من الغرب والشمال ، فإذا هاجمها غازٍ أجنبي تعرضت قندهار مباشرة للتهديـد ، وما دامت هراة سالمة فقندهار في مأمن من الجانب الغربي ، كما أن موقعها منيع من ناحية الجانب الهندي وإن كان لا يبلغ في المناعة مبلغ كابل .

وكـورة سجستان المتاخمة لهامون خصبة صالحة للـري ، ولها شأن كبيـر عند حكـام أفغانستان لأن موقعها يسيطر على الطريق المؤدي شرقاً إلى قندهار وغرباً إلى هراة ، وتقسيمها الحالي بين هذه المملكة

وفارس موجب للأسف .

المناخ : يتعرض القطر كلــه لأقصى تقلبات المناخ ، فمن الحرارة الشديدة في سجستان وكـورة كرمسير ووادي جيحون صيفاً ، إلى البرودة القارصة شتاء في الأقاليم المكشوفة التي تهب عليها العواصف الثلجية في كثير من الأحيان . وثمة أمثلة مشهورة في التاريخ لجيــوش عانت من هذا الصقيع منها مسيــر الملك بابر من جوار هراة إلــى كابل مخترقاً جبال هزاره ؛ ويــظن بعامّة أن اسم جبال هندوكُش (ومعناها لغةً : قاتل الهنود) منسوب إلــى الحادثة التي هلكت فيها كتائب شاه جهان الهندية من البرد ، وهنالك مثالان أقرب من ذلك عهداً هما ما لاقاه جيش عبد الرحمن من شدائد سنة ١٨٦٨ وما عانته اللجنة البريطانية لتعيين الحدود في باذغيس سنة ١٨٨٥ .

والاختلاف اليــومي بين درجات الحرارة كبيــر جدّاً ، والفرق بين النهاية الكبرى والنهايـة الصغرى

يتراوح بين ١٧و٣٠ درجة بمقياس فهرنهيت . ومناخ وديان الهضاب في الربيع والخريف معتدل لطيف ، ويلائم هذا كل الملاءمة نمو الفواكه وخاصة الأعناب والشمّام والبطيخ والخوخ والبرقوق والمشمش والجوز والفستق . ولقد وجد الرحالة المحدَثون أن أرباض كابل خليقة بالإطراء الذي كاله لها الإمبراطور بابر .

ومناخ الجزء السامق من جبال هندوكش الذي تسكنه قبائل كافر يماثل تمام المماثلة إقليم الألب ، وهو يشبه مناخ بعض أجزاء من جبال الهملايا .

ونباتات أفغانستان هي بصفة عامة نباتات الهضبة الفارسية ، وهي تختلف اختلافاً بيِّناً عن نباتات سهول الهند ، ولا ينمو في السهول إلا القليل من الأشجار ، اللهم إلا ما زرع منها في الحدائق كأشجار الفاكهة والدّلْب والحور ، على حين تنبت في الجبال المرتفعة صنوف عدة من أشجار الصنوبر والبلوط

الدائم الخضرة مع الأعناب البرية واللبلاب والورد ، أما في السلاسل الجبلية الأقل ارتفاعاً والأشد جفافاً فنجد الفستق البري والزيتون البري والعرعر والياسمين .

ويوجد شجر الحلتيت بكثرة في نواح عديدة . وتكثر أيضاً الأزهار البرية في الربيع ، وخاصة السوسن والخزامى والخشخاش .

التقسيم السياسي :

يتبع التقسيم السياسي للقطر التقسيم الطبيعي .

كابل : تشمل ولاية كابل الأودية المرتفعة الخصيبة حول المجاري العليا لأنهار كابل ولوغَر وتكاو ونهر غزنة ، كما تشمل الجزء الأسفل من وادي كابل قرب جلال آباد (انظر هذه المادة) ؛ وكانت غزنة (انظر هذه المادة) فيما سبق أهم مدينة في هذه المنطقة ، ولكن كابل (انظر هذه المادة) حلت

محلها في الأربعمائة السنة الماضية . وقد اعترف بكابل مقراً للحكم في عهد أباطرة المغل ، واتخذها الملوك الدرّانية قصبة لهم بدلاً من قندهار . ومنافستها القديمة پشارو (انظر هذه المادة) هي المركز الطبيعي للقبائل التي تعيش في السهول القريبة من نهر السند ، ولكنها اقتطعت من أفغانستان منذ أن انتزعها السيخ سنة ١٨٣٤ ، وأصبحت من سنة ١٨٤٨ إلى سنة ١٩٤٧ جزءاً من الهند البريطانية .

قندهار : تشمل قندهار الولاية القديمة زمين داور ، كما تشمل الوديان السفلى لأنهار هلمند ، وترنك ، وأرغنداب ، وأرغسان ، التي هي أهم مواطن الدرّانية . وكانت المدينة الحديثة قندهار (انظر هذه المادة) القائمة على نهر أرغنداب قصبة الولاية منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد حلت محل مدن قديمة مثل كرشك وبست .

سيستان : هي الكورة الحارة الخصبة الواقعة

حول هامون ؛ على أن جزءاً كبيرا منها يتبع فارس ؛ وهي لا تشتمل على مدن كبيرة .

هراة : وتشمل ولايــة هراة وادي هرى رود الخصيب والإقليم المكشوف الممتد بين جبال هزاره وحد فارس ، كما تشمل جزءاً كبيراً من هذه الجبال تسكنها قبيلتا هزارة (انظر هذه المادة) وچهار أيماق (انظر هذه المادة) . وقصبة الولايــة مدينة هراة (انظر هذه المادة) التي هي من أهم المدائن في تاريخ الشرق . وبالرغم من أن هذه المدينة قد فقدت مجدها القديــم فإنها لا تزال مكـانـاً هامّاً ويجب أن يكــون هذا شأنها ، ولاشك أنها سوف تنمو نموّاً عظيماً بفضل الأمن وتحسن أسباب المواصلات ، وسبزوار (انظر هذه المادة) أيضاً مدينة مزدهرة في جنوبي الولاية .

هزارستان : هي إقليم قبيلَتي « هزاره » و« چهار أيماق » الذي يقوم في الكتلة الجبلية التي يحدها من

ناحية الشمال كوه بابا ، ويحدها من الغرب إقليم هراة ؛ ومن الشرق والجنوب وادي هلمند . وهي البلاد التي عرفت قديماً باسم غور ، والراجح أن خرائب مدينة غور تحدد موقع القصبة القديمة فيروزكوه حيث كان الملوك الغورية يحكمون في القرن الثاني عشر الميلادي ؛ وليس فيها الآن مدينة ذات شأن .

تركستان : تعرف البلاد التي تمتد شمال كوه بابا حتى نهر جيحون بالتركستان ، وقصبتها القديمة بَلَخ (انظر هذه المادة) قد فقدت شأنها القديم ، أما المراكز الحالية للإدارة فهي مزار شريف (انظر هذه المادة) و « طاش قورغان » و « ميمنة » .

بذخشان : يعرف ببَذَخْشان الإقليم الذي يقوم شمالي هندوكُش وشرقي التركستان بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر جيحون ، ويروي هذا الإقليم نهر « قُنْدز » وروافده .

وخان : يقوم أقصى من ذلك شرقاً الوادي الجبلي الطويل المعروف بوَخَان وهو يمتد حتى جبال پامير .

نورستان : منطقة جبلية من هندوكش تقوم شمالي وادي كابل وغربي كونر ويسكنها الكافرية ، وقد عرفت هذه المنطقة بكافرستان (انظر هذه المادة) ، ولكن اسمها تعدل إلى نورستان بعد غزوة عبد الرحمن خان سنة ١٨٩٧ .

[لونكويرث ديمز M . Longworth Dames]

٢، أجناسها

ينقسم سكان أفغانستان إلى المجموعات الرئيسية التالية :

أ - الأفغان .
ب - التاجيك والإيرانين .
ج - المغول والترك .
د - سكان هندوكش الهنديين الآريين .

أ - الأفغـــان :

- الشعب
- لغة البشتو
- أدب البشتو

الشعب

هناك فارق كبير من ناحية السلالة بين مختلف القبائل الأفغانية ؛ ويقول ب ، س ، كوها B . S . Guha إن ثمة صلة وثيقة بين پطهانية باجَوْر وبين كالاشية چترال ، والراجح أن سبب ذلك يرجع في معظمه إلى أنهم دَرْديَّة تأفْغَنُوا، ومن جهة أخرى فإن اليطهانية ذوي الرؤوس العريضة في بلوچستان ، يشبهون جيرانهم من البلوچ ، وهناك خليط من الدم الهندي في سهول پشاور والديره جاط ، ونجد بين بعض القبائل آثاراً تدل على سيادة السلالة التركية المغولية ؛ بيد أنه يمكن أن يقال ،

بصفة عامة ، إن الأفغان ينتمون إلى الفرع الايراني الافغانـي من جنس البحـر المتوسـط ذي الـرأس المستطيل ، ويقول كون (*Races of Europe :Coon* ص ٤١٩) إنـه يمكن أن توضـع جمجمـة الأفغان من حيث التصنيف الجمجمـي ما بـين ٧٢ - ٧٥ . ويبلغ متوسط قامة الفـرد ١٧٠ سم (بالنسبـة لبطهـانية الحـدود) و١٦٣ سم (بالنسبـة لأفغـان أفغانستان) . والأنف بارز ، وهو غالباً معقوف عند من يطلق عليهم الجنس السامي ، وتوجد أنوف مماثلة أيضاً بين البلوچ وأهل كشمير . . إلـخ . والأفغـان سمر البشرة عادة ، ومع ذلك تظهر بينهم في الوقـت نفسه قلة ضئيلة تحتفظ في إصرار بالسحنة الشقـراء ، مما يعكس في هذه الحالة امتزاجاً بدم أهـل الشمال ، ولحاهم كثيفة » .

ويفرّق أحيـاناً بين الأفغان والپطهانيـة ، فيطلـق الاسم الأول على الدُّرانيـة وأحلافهم من القبائل ، والراجح ألا يكون هناك فارق إلا في التسمية ، ذلك

لأن التسمية الفارسية « أفغان » (لا يعرف الأصل في اشتقاقهذا الاسم) تطلق عادة على القبائل الغربيـة بصفة أساسية ، بينما يطلق اسم الـ « پطهان » ـ وهو الصيغة الهنديــة للاسم الــوطني ـ علــى القبائل الشرقية .

والاسم الوطني الـذي تستخدمه جميع القبائل هو « يَشْتُون » أو پِشتون » (پختون في اللهجة الشمالية الشرقيــة) والجمع/ إشتانه . ولقد قارن لاسِّن Lassen وآخرون بعده ، لفظ پشتون بكلمة پكتويس اليونانية عند هيرودوت ، كما جعل اسم الآفريدي هو عين الأپاروتاي عند اليـونان : وهذا التطابق الأخيـر محتمل ، إن لم يكن مؤكــداً بإطلاق . علــى أن الفرض الأول يتعين إنكـاره لأسباب تتعلـق بمخارج الصوت وغيرها (المقطع الأخيـر « ـــون » يرد إلـى « ـانه » ، والمجموعة الصوتيـة القديمة التي انتهت إلــى « شت » في لغة الپشتو [خت صيغة لهجيــة

متأخرة] يصعب أن تؤدى بالحرفين اليــونانيين ك ت) . والأرجح وجود ذلك الارتباط الذي ذهب إليـه ماركــار بين الــكلمة وبين « پارسواتاي » عند بطليموس ، وهو اسم قبيلــة تسكن إقليــم پاروپاميـزوس . ويمكن أن يرد مقطع بشت أو شت إلى المقطع القديم رس،والراجح أن الصيغة القديمة كانت هي پارسْو ـ انا ، وهي مشتقة من پارسو (انظر كلمة بارسوا الآشوريــة البابليــة وپارسو (١) الفارسية) . ولا يتضمن هذا وجود أيـة علاقة وثيقة بين القبيلتين الإيرانيتين اللتين نحن بصددهما (انظر أيضاً پُشت ، وپخُت ـ اسم المقر المفروض للقبائل و الأفغانية من بلاد الوزيـري) . والـراجح أن الاسم الوطني للغة الأفغانية وهو پشتو (پختو) يرجع إلـى صفة مؤنثة هي بارساوا (أي لغة) . ويطلــق « أورمريَّة » لوكـر علـى الأفغان اسم « كـاش » كما يطلق أورمرية كانيكرام على الوزيرية اسم « كسى »

وهي جمع . ولا يعرف أصل هذه الكلمة ، بيد أن لها صلة بكلمة « كاسى » ، وهو اسم قبيلة أفغانية قرب كَوَطَّة وباسم جبال سليمان بلغة الپشتو : (دا) كاسه غار .

- وتستعمل كلمة پشتو أيضا مرادفة لكلمة بشتونولي ، إلخ ، وتعني القانون الاجتماعي الخاص للأفغان وأركانه هي : « نَنَوَاتائي » أي حق الالتجاء ، و « بدل » أي الانتقام أخذاً بالثأر ، و « ميلمستيا » أي إكرام الضيف . ويقال إن أسباب الخصومات التي تؤدي إلى « البدل » أي الثأر هي : النساء ، والذهب ، والأرض (زن ، وزر ، وزمين) وتأخذ معظم القبائل بالنظام الديمقراطي ، والخان ـ الذي يتولى منصبه بالوراثة ـ مقيد السلطة ؛ ويبت في الأمور الهامة بالتشاور مع زعماء بطون القبائل والعشائر ؛ ولمجلس القبيلة أو مجلس القرية (جركا) شأن كبير . ولكن شبه الاستقلال الذي

يتمتع به كثيـر من القبائل يتقلص باستمرار في أفغانستان تقلصه في الهند (پاكستان) . ويـرتبط الموالي من الأفغان ومن غيـر الأفغان (الهمسائيـة) بمعظم القبائل ويعيشون في ظل حمايتها . وتتعرض للانقراض الآن في أغلـب الـربوع العادة القديمة الخاصة بإعـادة توزيع الأرض (ويش) في مواسم . وتشعر القبائل الأفغانية بأن بينها نوعاً من الوحدة يقوم علـى الاشتراك في اللغة والعادات والتقاليـد ، حتى بالـرغم من تفرق كلمتها سياسيـاً ومحاربة بعضها لبعض . على أن كل قبيلة تنقسم إلـى بطون وأفخاذ وعشائر ، وتلحق الأسماء التي تطلـق علـى هذه الفروع غالباً بكلمة « خيل » أومع الكاسعة ـ زائي ، وإن كانت ـ زائي في بعض الحالات تدل على قبيلة بأسرها .

وأول من أشار إلى الأفغان (بصيغة أفكـانا) هو الفلكـي الهندي ڤراها مِهِرا (أوائل القرن السادس

الميـلادي) في كتابه « برهات ـ سمهيتا » . وبعد قليل ظهرت إشارة لعلها كانت ترجع إليهم في سيرة هيون ـ تسانغ الـذي ذكـر اسم قبيلـة اسمها أپثوكين (* أفكان) كانت تسكن الجزء الشمالـي من جبال سـليمـان . (*La Vieille route :A . Foucher* De L'Inde de Bactres à Taxila، باريس سنة ١٩٤٧ ص ٢٣٥، ٢٥٢ ، تعليـق ١٧) . وأقدم مصنف إسلامي يذكـرهم هو كتاب حدود العالـم (سنة ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م) وتلاه كتاب تأريخ يميني للعُتْبي ، ثم كتاب البيروني ، ولم يرد الاسم پطهان حتى القرن السادس عشر ، بيد أن تغيير « شت » إلى « طها » يدل على أن هذه الكلمة لابد أن تكون قد استعيرت في الهندية الآريـة في تاريخ مبكـر جداً ، وطبقاً لما أورده العتبي (طبعة القاهرة عام ١٢٨٦ هـ ، جـ ٢ ص ٨٤) هاجم محمود الغزنوي طُخارستان بجيش من هنود وخَلَج وأفغان وغزنوية ،

لكنه هاجم في مناسبة أخرى الأفغان وأدّبهم ، وهذا ما أيده البيهقي الذي كتب كتابه بعد وقت وجيز .

ويذكر البيروني مختلف القبائل الأفغانية قائلا إنها تعيش في جبال الهند على الحدود الغربية (كتاب الهند ، ترجمة سخاو ، جـ ١ ، ص ١ ، ٢٠٨ ، وانظر ص ١٩٩) ، وهذا يشير إلى جبال سليمان من حيث هي أقدم موطن معروف للأفغان ؛ وليس من المحقق معرفة مدى امتدادهم نحو الغرب ، ولكن الكتاب الأقدمين لم يذكروا محلة أفغانية واحدة غربي غزنة ، وليس هناك شاهد يدعو إلى افتراض أن سكان غور كانوا يتكلمون أصلا لغة البشتو ، وإذا جاز لنا أن نصدق رواية البطاخزانه فإن الأمير الأسطوري كرور ، حفيد شنانسب (القرن الثامن) كان شاعراً ينظم بلغة البشتو ، وهذا أمر بعيد الاحتمال لأسباب عديدة . ويكتنف الغموض الشديد أصل الدُّرّانية (الأبدالي ؛ انظر هذه المادة) ، وهم القبيلة

الأفغانية في أقصى الغرب ، أما فيما يتعلق بالغلزائية فإن من المحتمل أن يكون اسمهم قائماً على اشتقاق شائع (ابن اللص) للاسم التركي لقبيلة خلجي أو خَلَجْ التي يقول الإصطخري إن منازلها كانت في المجرى الأوسط لنهر هِلْمَنْد [هندمند] والتي يقول كتاب الحدود إنها كانت تسكن في إقليم غزنة ، ولكن الغلزائية ربما كان بعضهم أو معظمهم من أصل أفغاني . والظاهر على كل حال أن الأفغان لم يكن لهم أي وزن سياسي إبان العهد الغزنوي ، وقد سجل لنكويرث ديمز في الطبعة الأولى من هذه الدائرة بعض إشارات مبكرة سنذكرها بعد ، وقد أكملها ، هاردي ، وفي عام ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) أنفذ مسعود ابنه إيزديار إلى الإقليم الجبلي قرب غزنة لإخضاع الأفغان العصاة وفي سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م - ١١١٩ م) حشد أرسلان شاه جيشاً من العرب والعجم والأفغان والخَلَج ؛ وفي سنة ٥٤٧ هـ

(١١٥٢ ـ ١١٥٣ م) يقول ألفى إن بهرام شاه حشد جيشاً من الأفغان والخلج ، واستمرت الأمور على ما هي عليه بظهور سلطان الغورية ، ذلك أن فرشته (طبعة بومباي سنة ١٨٣١ ، ص ١٠٠) يقول إنه حدث سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) أن الجيش الذي حشده معز الدين محمد بن سام كان يتألف من الأتراك والتاجيك والأفغان ، وحشد خصمه الهندي بيثوراي (پرتهوي راج) قوة من فرسان الراجپوت والأفغان .

وهكذا نجد أن الأفغان قد صوروا على اعتبار أنهم كانوا يحاربون مع الجانبين في هذه الحرب الكبرى التي دارت بين المسلمين والهندوس ، ولعل هذا يدل على أنهم لم يكونوا قد دخلوا في الإسلام تماماً على الرغم من أن الأساطير الموضوعة تجعل دخولهم في الإسلام منذ أيام خالد . ولا يتضح لنا من أي مصدر استقى فرشته الخبر الذي أورده ، ولم يظهر ذلك في الرواية التي ذكرها منهاج سراج عن هذه الحرب في

كتابه طبقات ناصري ، فهذا الكاتب لا يذكر الأفغان فيما رواه عن الملوك الغزنويين والغوريين ، والإشارة الأولى والوحيـدة إليهم في كتابه إنما ترجع إلـى زمنه وتاريخها سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) على عهد ناصر الـدين محمود صاحب دهلـي . وهو يقول فيها (ترجمةRaverty ، ص ٥٨٢) ان ألغ خان استخدم ٣٠٠٠ رجل من الأفغان الشجعان في إخضاع قبائل ميوات الجبليـة في راجپـوتانا . ويـروي الجويني (جـ ١ ، ص ١٤٢) أن الخلج والغزنويين والأفغان كانوا قسماً من جيش المغول الـذي نهب مـرو عام ٦١٩ هـ . ونجد الأفغان في القرنين التاليين يرد ذكرهم بين آن وآخر في التاريخ الهندي ، مثال ذلك أن بَرَنى في كتابه : فيروزشاهي ، (ص ٥٧) يقول إن بَلَبَن شيـد عام ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) حصوناً صغيرة في المنطقة المجاورة لجوپالپور وعهد بها إلى الأفغان ، كما أن هناك ثلاث مدن أخرى كانت

تتعرض بصفة خاصة لغارات اللصوص ، قد عهد بالحصون التي تحميها إلى الأفغان ، ويروي الكاتب نفسه (ص ٤٨٢) أن طائفة من الأفغان في مُلْتان يتزعمها مُلْتان مَل (وهذا الاسم يدل في اللهجة الملتانية على « بطل ملتان » والراجح أنه ليس اسم علم لأفغاني) قامت بعصيان في عهد محمد بن تغلق . ويقول سرهندي في كتابة « تاريخ مبارك شاه » (طبعة كالكتة عام ١٩٣١ ، ص ١٠٦) إن هذه الفتنة إنما نشبت عام ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م) . وكان مَخ أفغان مرة أخرى أحد الأمراء الأجانب الذين تمردوا في ديوكير ، وفي عام ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ - ١٣٧٧ م) منح إقطاع بهارلملك بير أفغان (تأريخ مبارك شاهي ، ص ١٣٣) . ووجد تيمور أنهم ظلوا على عهدهم لصوص تلال . ويروى في « ملفوظات تيمور » و« ظفر نامه » و« مطلع السعدين » أنه نهب بلاد الأوغاني (أو الأغاني) الذين كانوا يسكنون

جبال سليمان . وعلـى هذا فإنهم ، باستثناء فترات عارضة عملوا فيها جنوداً مرتزقة ، ظلـوا جنساً شرساً من لصوص الجبال حتى استولى على زمام السلطة في الهند واحد من هؤلاء المغامرين جعل منهم شعباً ذائع الصيت ، وكان هذا القائد هو دولت خان لودي زعيم العشيرة اللودية من الغلزائية . وقد ارتفع شأنه حتى أصبح واحداً من أبرز الشخصيـات في الإمبراطورية . وارتقى بهلول لودي عرش دلهي عام ٨٥٥ هـ (١٤٥٠ م ؛ انظر مادة « لودي ») وقضى بابر عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) علـى حكـم هذه الأسرة ، بيد أن شيرشاه سور أعاد السلطة إلى الأفغان مدة وجيـزة (٩٤٤ - ٩٦٣ هـ = ١٥٣٧ - ١٥٥٥ م ؛ وانظر مادة « سور ») واستقر عدد كبيـر من الغلزائية والبطهانية في الهند ، وفي تاريخ متأخر عن هذا أقطع أورنكزيب قبائل مختلفة من البطهانية أراضي في روهلخند (انظر هذه المادة ؛ وانظر مادة

« رامپور ») . [مقاطعة باريلّــي . . . إلــخ]
وسميت هكذا أخذاً من روهيلا (روهلاّ بلغة البشتو
أي « ساكن التلال ») و « پطهان » . وكانت بعض
التقاليد البطهانيـة لا تزال حيـة في بلاط نواب رامپور
وقت زيارة دارمستيه Darmesteter عام ١٨٨٦ . بيد
أن المستوطنين الأفغان في الهند اندمجوا في السكان
شيئاً فشيئاً ما عدا الـذين كانوا يعيشون في أقصى
الشمال الغربي .

وكـانت الهجرة إلــى الهند تمثل جانباً من انتشار
القبائل الأفغانية في القرون الوسطى المتأخرة ؛ وقد
حدث هذا الانتشار على نطاق واسع بحيـث يصعب
علينا أن نصدق ما ذهب إليــه ديمز Dames من أن
الأفغان كانوا لا يزالون مجرد قبيلة جبلية لا وزن لها ،
تسكن رقعة محدودة ، في عهد متأخر كعهد الدولـــة
الغورية ، وقد أبعد غلزائيةُ السليمان خيل اللوهانيَّه
من جبال غزنة كما أكرهوا البطنية على الاتجاه شرقاً

عبر ممر كومل في القرن الخامس عشر ، وقبل ذلك بقرن أو قرنين كان الخطكيـة (انظر هذه المادة) والبنكشية قد شرعوا في الانتقال إلى مواطنهم الحالية في كوهـاط ، كما أن اليوسفـزائية وأحلافهـم قد غادروا ـ في قول الروايات ـ تَرْنك وأرغسان إلى كابُل في القرن الثاني عشر . ثم طردوا من كابل فيما بعد وبلغوا سهل پشاوَر في القرن الرابع عشر وردوا الدلازاكية إلى مواقعهم الأولى ـ ولعل هؤلاء كانوا يمثلون موجة مبكرة من هجرة الأفغان ـ ونفذوا إلى الوديان الجبلية التـي إلى الشمال من پشـاور (انظـر مادة « يوسفزائـي ») ، واقتفى أثرهـم الغـورية خيل (المهمنـدية وغيرهـم) في فتـرة مبكرة من القـرن الخامس عشر ؛ وعبرت بعض القبائل نهر السنـد إلى البنجاب .

وقام الشاعر المحارب خشحال خان خطك بأول محاولة لتنظيم صفوف القبائل البطهانية على الحدود

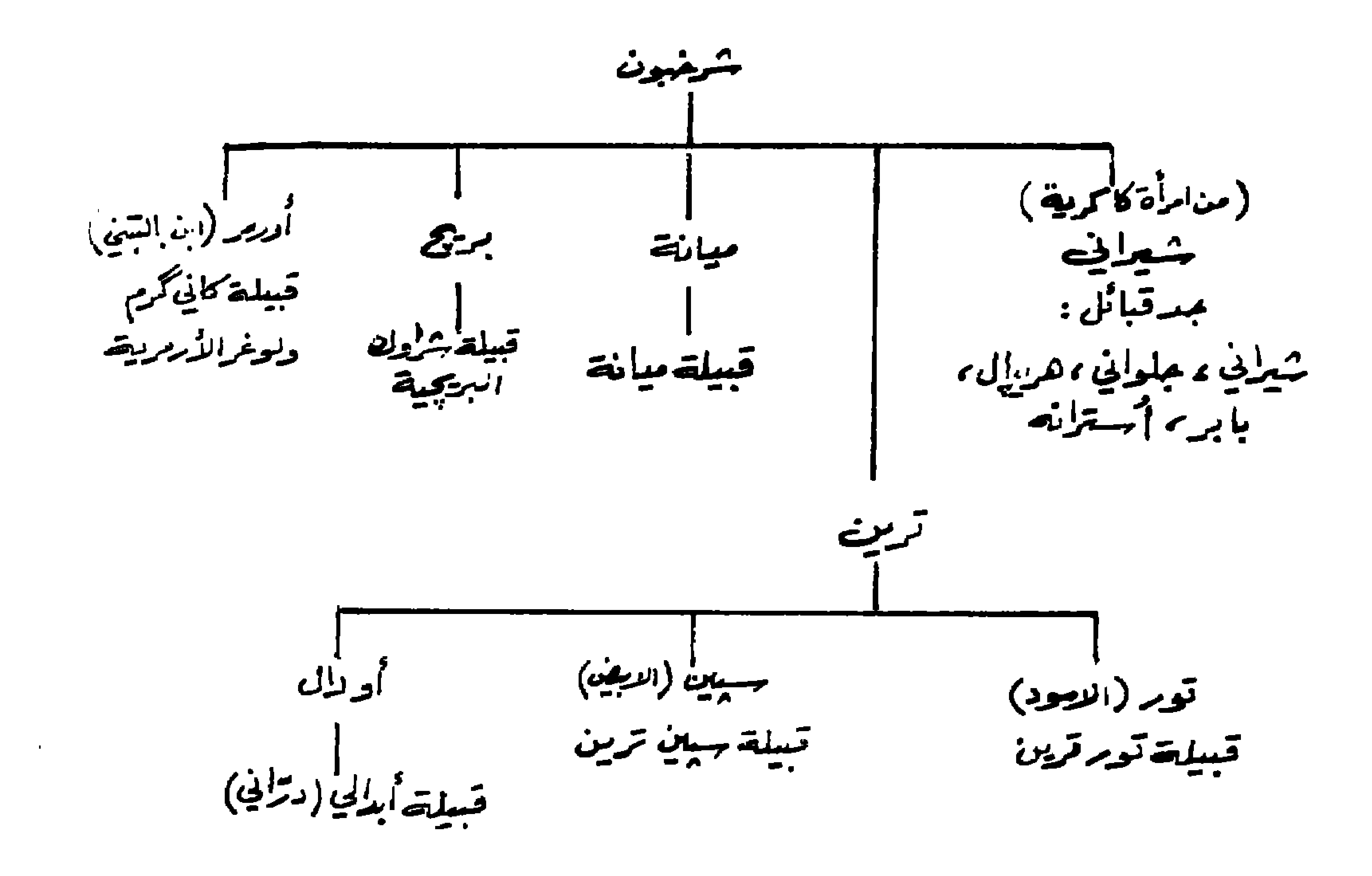
لخوض غمار معركـة شاملـة من أجل الاستقلال عن المُغَل ، وذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر . ولكن دولة أفغانية وطنية برزت إلى الوجود ، لأول مرة ، تحت رئاسة مير ويس زعيـم الغلـزائي وتوطدت أركانها في عهد أحمد شاه دُرّاني في القرن الثامن عشر .

وأورد أبو الفضل في كتابه أكبر نامه ، المعالـم الرئيسية للروايات القبلية عن الأفغان ، وثمة روايات تختلف اختلافاً طفيفاً وردت في كتاب تذكرة الأولياء لسليمان ماكـو (يقال إنه يرجع إلـى القرن الثالـث عشر) وفي « پطا خزانه » (انظر ما كتب عنها بعد في القسم ٣) .

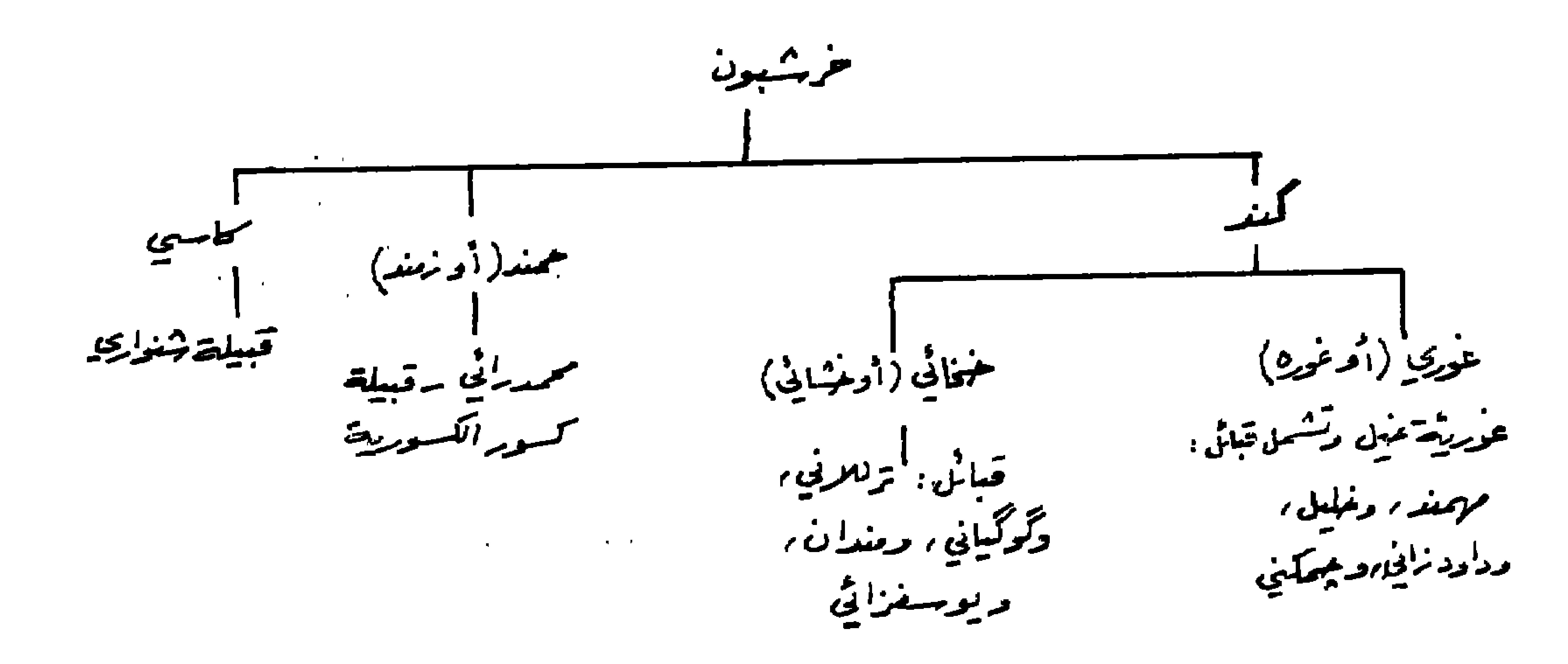
ويعد كتاب مخزن أفغاني لنعمت اللّـه المصدر الرئيسي الذي استقينا منه الروايات القبليـة (وقد تم عام ١٦١٣ م) ولا يمكن الاعتماد على الأنساب التي وردت في هذا الكتاب ونقلت بعد ذلك في مصنفات

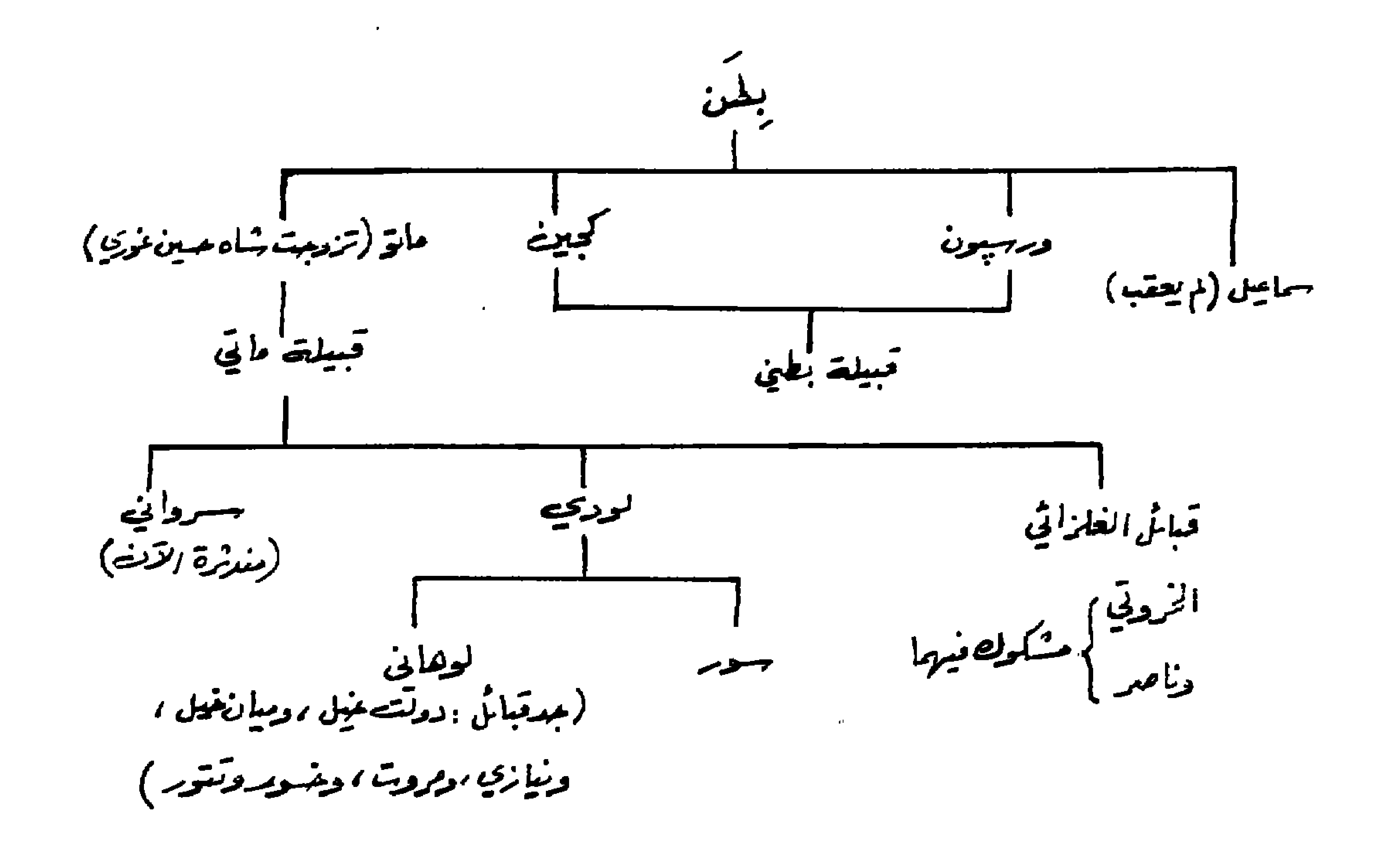
أخرى مثل كتاب حيات أفغاني ، باعتبارها مصادر تاريخية ، ولكنها دليل قيم على الروايات التي كانت حيّة بين الأفغان في القرن السابع عشر ، وإذا أخذنا بهذه الروايـة فإن الجد المشترك لمعظم القبائل الأ[illegible]ـة هو قيس عبد الرشيـد ، الـذي دخل في الإسلام على يد خالـد وهو من نسل أفغانه ، حفيـد الملك طالوت أو ساروِل (شاول) ، وأنجب قيس ثلاثة أبناء :

سَرْبَن وبَطَنْ (بِطَنْ) وغُرْغُشْت ؛ وأنجب سربن هو الآخر ابنين : شَـرْخبون ، وخَـرْشبون ، ويمكن إيضاح فروع النسب الأخرى في الجدول الآتي :

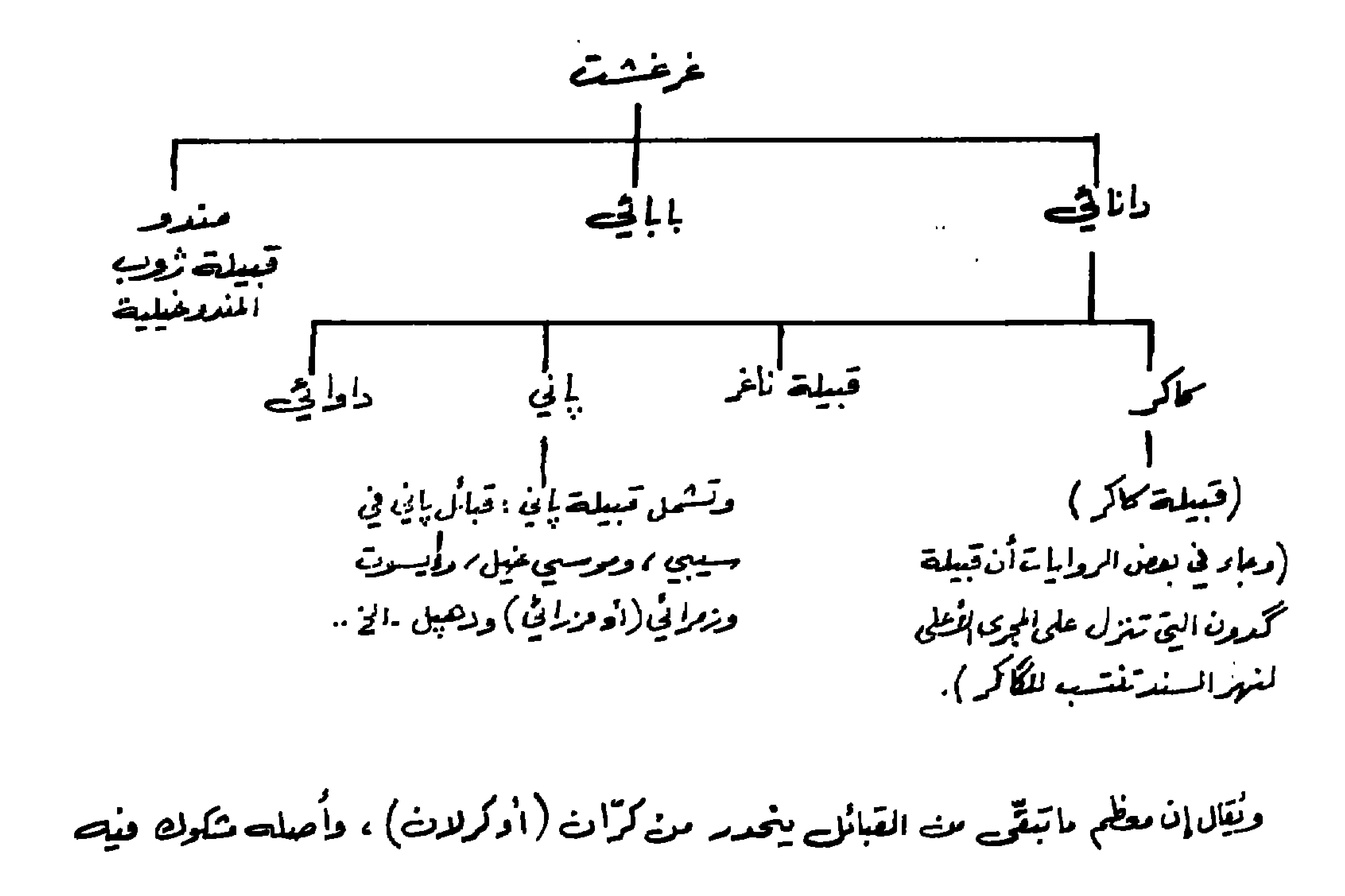


شرخبون
(من امرأة كاكرية)
شيراني
جد قبائل :
شيراني ، جلواني ، هريال ،
بابر ، أسترانه
ميانة
قبيلة ميانة
بريج
قبيلة شراون البريجية
أورمر (ابن التبني)
قبيلة كاني گرم
ولوغر الأرمرية
ترين
تور (الاسود)
قبيلة تور ترين
سپين (الابيض)
قبيلة سپين ترين
أودال
قبيلة أبدالي (دراني)


خرشبون
كند
جمند (أو زمند)
كاسي
غوري (أو غوره)
غورية خيل وتشمل قبائل:
مهمند، وخليل،
وداود زائي، وچمكني
خخاني (أو خشاني)
قبائل: ترلاني،
وگوگياني، ومندان،
ويوسفزائي
محمدزائي - قبيلة
كسور الكسورية
قبيلة شنواري



بطن
ماتو (تزوجت شاه حسين غوري)
كجين
ورسپون
سماعيل (لم يعقب)
قبيلة ماتي
قبيلة بطني
سرواني
(مندثرة الآن)
لودي
قبائل الغلزائي
الشروتي
وناصر
مشكوك فيهما
لوهاني
سور
(بعد قبائل: دولت خيل، وميان خيل،
ونيازي، ومروت، وخسور وتتور)



ويُقال إن معظم ما تبقّى من القبائل ينحدر من كرّان (أو كرلان)، وأُصله مشكوك فيه

كران

كودائي

قبائل وردك و دلازاك، وأوركزائي، و منگل.

كخائي

قبائل: آفريدي، وخطك، وجدران، وعثمان خيل، وخوگياني، وجاجي، وتوري، والراجح أن يدخل فيها أيضاً: قبيلة شيتك (وبطناها: دوريا وبنوجي) وقبيلة خوستوال.

وتذهب بعض الروايـات أيضاً إلـى أن البنكش (البنكج) والوزيريـة من سلالـة كخائي ، وتذهب رواية أخرى إلى أن قبيلَتي وَزِيري ودَوَر لا صلة لهما بأحد هذه الأنساب .

ويـزعم أبناء بعض العشائر أنهم من السادة (الأشراف) ، ونجد هذا في قبائل شيـراني وكاكـر وكـرّاني ودوائي وترين وميـانة وبطني ، كما تدعي شرف هذا النسب قبائل كنداپور وأسترانه ، وكـانت هذه في الأصل بطوناً من قبيلـة شيـراني ، ويـزعم البنكش أنهم من نسل قريش .

ويعترف كتاب « مخزن أفغاني » صراحة بأن جميع هذه القبائل أفغانيـة ما عدا قبيلَتي بنكش ووزيري وأولئك الكرّانية الذين ينتسبون إلى فرع من الكخائي (آفريدي ، إلخ) . ويبدو أن الأخير ظل مجهولاً لصاحب هذا الكتاب .

ومن المهم أن نسجل أن كل لهجات البشتو التي

تغير حروف المد (الألف تنقلب إلى ضمة مبسوطة مفخمة . . إلخ ، انظر بعدُ قسم ٢) تنسب إلى المجموعة الكرّانية أو إلى المجموعة الوزيرية ، وربما كان تشعب نسب اليوسفزائي مثالاً للتعقيد الشديد الذي يتسم به النظام القبلي ، فأحد بطون هذه القبيلة الخمسة (الأكوزائية) ينقسم إلى الرانيزائي وإلى أفخاذ أخرى . وإحدى عشائر الرانيزائية الخمس تتفرع بدورها إلى الغيبي خيل وثلاث عشائر أخرى . وإحدى عشيرتي غيبي هي النور محمد خيلية وتتفرع إلى الغريب خيل ، ودَوَر خيل . ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن الاسم تورمان ـ أحد أسلاف الخطك ـ كان فيما يرجح عين الاسم تورمانا وهو ملك للهند من الهونة ، وأحد أفراد دولة الشاهي . وهذا لا يتضمن وجود أي ارتباط تاريخي بين الأفغان الأسطوريين وبين هؤلاء الأمراء ، ولكنه مجرد دلالة على بقاء الاسم في الروايات المحلية .

التوزيع الجغرافي للقبائل الأفغانية :

الدُرانية في الوديـان السفلـى للنهر ، من سبزوار وزمين داور جنوب شرقي قندهار وچمان . ومن الأفخاذ : الفوفلزائية (وتشمل العشيرة الملكية وهي السدوزائي) والپاركزائية ، وأقوى قبيلة بعد الدّرانية هي قبيلـة الغلزائيـة (انظر هذه المادة) وقد ظلـت تنافس الدرانية وقتاً طويلاً وتحتل الإقليم الـواقع بين كلات الغلزائيـة وجلال آباد ، وكـان الهوتكيـة فيما مضى هم العشيرة التي انعقد لها لواء الزعامة . وأهم فخذ الآن هو سليمان خيل ومنه يجند اليونداثيـة ، وهم بدو ينتقلون في الخريف مخترقين ممرَّيْ كومل وتوچي حتى ضفاف نهر السند ويعودون في الربيع إلى أفغانستان ، ويَمُتّ الخروطيـة بصلـة القربى

للغلزائية . ويسكن الكاكرية والترينية مركـزَي بشين
وژوب في بلوجستان . وجيرانهم هم پانيـة سيبي .
ونجد الشيرانيـة إلـى الشمال الغربي من ژوب حول
تخت سليمان . أما الوزيريــة (انظر هذه المادة ؛
وينشعبون فرعَين : درويش خيل ومحسود)
فيعيشون في الجبال بين كومل وكُــرَّمْ علــى جانبي
الحدود . ونجد البطنية واللوهانية على سفوح التلال
نحو الشرق والمروتيــة في السهول جنوبي كُرَّمْ
الأسفل . ويسكن الدورية والپنوجيـة وادي توچي ؛
ويحتل الخطكية سهول كوهاط وينتشرون رأساً حتى
مركز أتُك نفسه . وتعيش في وادي كُرَّمْ الأعلى قبائل
البنكش والتورية والشيعيـون وقبائل أخرى ، وعلـى
الجانب الأفغاني من الحدود يعيش الجاجيــة مع
جيـرانهم المنكليـة والخوستواليـة ، وتعيش شمالـي
بنكش قبيلــة أوركــزائي (مع بعض العشائر
الشيعيـة) ، وفي تراه وممرَّي خيبر وكـوهاط يقيــم

الآفريدية مع الشنوارية إلى الشمال منهم على جانبي الحدود ، وتحتل قبيلة مهمند (انظر هذه المادة) رقعة كبيرة من الأرض شمالي نهر كابل في أفغانستان وفي كورة بشاور . ويمت لهم بصلة القربى الخليلية في بشاور ، وإلى الشرق من قبيلة مهمند تعيش قبيلة اليوسفزائي (انظر هذه المادة) والقبائل الحليفة (منداان) الخ في بشاور وفي الجبال الواقعة إلى الشمال (بُنير وسوات ودير ، إلخ) حيث يشقون طريقهم عائذين مدمجين الدردية فيهم ، أما الذين يطلق عليهم اسم السواتية فإنهم أخلاط دفعهم اليوسفزائي عبر نهر السند إلى منطقة هَزارا ، ونجد السافية في وادي كونر وفي أماكن أخرى في الشمال الشرقي من أفغانستان ، وفي العصور الحديثة استوطن كثير من الأفغان الذين يتكلمون لغة البشتو راغبين أو كارهين ـ أماكن مختلفة شمالي هندوكُش وفي منطقة هراة .

لغـــة البشـــتو

البشتو هي لغة الحديث في جنوب شرقي أفغانستان من شمالي جلال آباد إلـى قندهار ، ومن هناك غرباً إلى سبزوار (منطقة كابُل يغلب على أهلها التحدث بالفارسية وكذلك غزنة) . كما يتحدث المستوطنون في شمالي أفغانستان وغربها أيضاً لغة البشتو ، وفي باكستان يستعمل غالبيـة السكـان في ولايـة الحدود الشمالية الغربية لغة البشتو من دير وسوات جنوباً ، وفي بعض الجهات في البنجاب وفي بلوجستان جنوباً حتى كَوَطَّة ، ولعلها لغة الحديـث فيها جميعاً ويتكلمها ما يزيد على أربعة ملايين نسمة .

والبشتو لغة إيرانية في أصلها وتركيبها ، وإن كانت قد استعارت بحرية من الهندية الآرية ، وفيها جميع

التغيرات الصوتية الإيرانية الشائعة وهي تماثل اللهجات الايرانية الشرقية الأخرى مثال ذلك أن فيها حروفاً ساكنة تخرج بالاحتكاك تطابق الحروف الافتتاحية ب ، د ، ك ، في اللغات الإيرانية الغربية ، وفي نطق حرف ش ، بين المتحرك والساكن ، ولعلها في أصلها لهجة من لهجات « ساكا » أدخلت من الشمال ، بيد أنه لا يمكن تحديد علاقتها بصورة أشد إحكاماً . لاحظ أن در تتحول إلى ثركما في الختنية ، ول تتحول إلى ذ كما في المنچى (وإن كانت توجد أيضاً في اللغات الإيرانية الشرقية الأخرى) . ولقد بدلت تغيرات صوتيه مختلفة ـ وبخاصة إدغام الحروف الساكنة وإسقاطها ـ تبديلاً جذرياً شكل معظم الكلمات التي من أصل إيراني ، واحتفظ بالضغط في نطق بعض الحروف باعتباره عاملاً صحيحاً ، ويقوم وزن الشعر عليه لا على الفاصلة في علم العروض .

ومن معالم التغير الهامة في لغة البشتو على سبيل المثال :

١ ـ التمييز بين التذكير والتأنيث .

٢ ـ تنوع كبيـر في وجوه الإعراب وآثار من الإعراب في الأسماء .

٣ ـ لا فارق هناك بين المفرد والجمع في ضميـر الغائب .

٤ ـ تركيب صيغة الماضي للأفعال المتعدية .

أدب البشتو

لم يُنشر ، إلى عهد قريب ، أثر أدبي بلغة البشتو أقدم من القرن السابع عشر . ولكن عبد الحي حبيب نشر في تقويم كابل عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ (داكابل سالنامه) شذرات من كتاب « تذكرت أولياء » لسليمان ماكو ، يتضمن قصائد يقال إنها ترجع إلى القرن الحادي عشر . ونشر عام ١٩٤٤ في كابل كتاب « پطاخزانه » لمحمد خوتك الذي ينم عن أنه كُتب في قندهار (وتم عام ١٧٢٩ م) وأنه مختارات من قصائد شعراء البشتو من القرن الثامن إلى عهد المصنف . بيد أن هذه المصنفات تثير عدداً من

المشكلات اللغوية والتاريخية الخطيرة ولا يمكن القطع نهائيّاً في موضوع صحتها حتى يتيسر وضع المخطوطات بين يَدي الباحثين اللغويين . بل اننا إذا سلمنا بصحة كتاب « خزانه » فإن تأريخ محمد خوتك لأقدم القصائد يمكن أن يكون محل شك . ويقول راڤرتي إن شيخ مالي كتب عام ١٤١٧ تاريخاً لليوسفزائي ، ولكن لا يعرف عن هذا الكتاب أكثر من هذا . ويوجد مخطوط تم بحثه ، يتضمن « خير البيان » لبايزيد الأنصاري شيخ الزنادقة (مات عام ١٥٨٥) . ويتوفر لدينا منذ أوائل القرن السابع عشر مصنفات كلامية وتاريخية ـ حافلة بالمطاعن ـ عن خصمه السني أخون (د) درويزه (انظر مادة « روشَنيّة » ؛ وانظر مخزن أفغاني ومخزن إسلام) . والقرنان السابع عشر والثامن عشر غنيّان بالشعراء ، ولكن معظمهم يقلدون المُثل الفارسية . وأشهر شاعر طبقاً للمعايير الأوروبية هو خوشحال

خان (انظر هذه المادة) ، وهو أيضاً الشاعر القومي لأفغانستان الحديثة (١٠٢٢ - ١١٠٦ هـ = ١٦١٣ - ١٦٩٤ م) وهو زعيم الخطكية ، وهو رجل وطني وجندي محارب وكاتب غزير الإنتاج في عدد كبير من الموضوعات . والحق إن ما يتمتع به من انطلاق في التعبير واستقلال في التفكير ليضفي سحراً خاصّاً على أفضل قصائده . وكان الكثيرون من ذريته شعراء أيضاً ، وكتب حفيده أفضل خان « تاريخ مرصَّع » يعرض فيه تاريخ الأفغان . وأقدم شاعر صوفي هو ميرزا الذي ينتسب إلى أسرة بايزيد الأنصاري ؛ ولكن عبدالرحمن وعبد الحميد (وكلاهما عاشا حوالي ١٧٠٠ م) هما أشهرهم . وكان أحمد شاه مؤسس أسرة دُرّاني الحاكمة شاعراً أيضاً . وهناك أيضاً ترجمات عدة منقولة عن الفارسية ومنظومات للأساطير بالفارسية والأفغانية مثل آدم خان ودرخانائي ، والأغنيات الشعبية والقصص الغنائية

إلخ التي جمعها دار مستيتيه ونشرها لها أهمية كبيرة .
ولقد نشرت حديثاً الأكاديمية الأفغانية (بشتو طولنه)
في كابل مجلداً من الأغاني الشعبية وبخاصة تلك التي
يطلق عليها اسم لندائية ومصراعية ، وهي أبيات من
الشعر الغنائي منظومة علــى وزن خاص ، وبعضها
علــى درجة كبيــرة من الجمال . وفي أفغانستان
محصول وفير من الشعر الحديــث ، وتنشر أكاديميـة
البشتو أعمالاً أدبيةً أخرى أيضاً .

[مور كنستيرن G . Morgenstierne]

ب- التاجيك والإيرانيين :

التاجيك : وهو الاسم العام لسكان أفغانستان الذين يتحدثون باللغة الفارسية ، ويطلق عليهم أيضاً في كثير من الأحيان : البارسيوانية ، أو « الدهكانية » و « الدهوارية » في الشرق والجنوب ، وهم قرويون ؛ وكذلك يتكلم الفارسية سكان معظم المدن ، وليس للتاجيك نظام قبلي ، إلا في بعض أصقاع قاصية ، والتاجيك في القرى مستأجرون للأرض مسالمون ، وهم في هراة وسجستان امتداد مباشر لفرس بلاد فارس ، أما في

شمالـي أفغانستان (من مَيْمَنَة إلـى بَذَخْشان) فإنهم يتصلـون بتاجيك الاتحاد السوفيتي . ويشغلـون في جنوبي شرق أفغانستان بعضاً من أخصب الكـوَر الزراعية حول منطقة غزنة وفي إقليم كابل (كوه دامن وبينجشير وغيرهما) . وهم من حيث علـم الجنس الإنساني مختلطون أشد الاختلاط ، على أن تاجيك بذخشان من سكان التلال وتاجيك شمالي أفغانستان هـم بصفة عامة من الجنس الألبي . والراجح أن كثيراً من التاجيك جنوبي هندوكش ينتمون إلـى الجنس الإيـراني الأفغاني . ومع ذلك فإن بعض تاجيك بذخشان من سكان التلال لا يزالون يحتفظون بلغاتهم الإيرانية القديمة . ويصدق هذا على البراجية شمالي كابل والأورْمُرِيَّة في وادي لوكر . وقد انحدر القزلباش من الترك الفرس الذين أسكنهم نادر كابل وهراة .

جـ ـ المغـول والـترك

القبائل التركية والمغولية : تكـوّن القبائل التركيـة في شمالـي أفغانستان فريقاً هامّاً ـ أو قل مسيطراً ـ من السكان ؛ وقد استقر معظم الأوزبكيـة (انظر هذه المادة) في القرى والمدن ، وقد قدّر جارنك Jarring عددهم بخمسمائة ألف نسمة تقريباً . وإلـى الغرب منهم ، بين أندخوى وبالا مرغاب ، نجد البدو التركمان وخاصة الـ « إرسريّة » (ويـرتفع عددهم فيما يقدّر إلـى ٢٠٠,٠٠٠

نسمة) ، ويعيش في باميـر الأفغانيـة حوالـي ٣٠٠,٠٠٠ نسمة من البدو القرغيز . وتمثل بعض القبائل التركية الأخرى أيضاً في أفغانستان ، وأغلب الـظن أن الأتراك النازلين في كوهستان [قوهستان] وكـوه دامن شمالـي كابل قد تخلـوا الآن عن لغتهم القومية .

وفي الكتلة الجبلية الوسطى ـ من غزنة إلـى هراة ومن شمالي باميان إلى منتصف هلمند ـ تسكن قبائل من أصل أو جنس مغولي أو تركـي مختلـط ، وتنتشر هذه القبائل حتى تدخل في فارس أيضاً . والجزء الشرقي من هذا الصقع هو موطن الهزارية (انظر هذه المادة) أو « البربريـة » . وهم ينشعبون عدة قبائل : الـداي ـ كُندي ، والداي ـ زنكـي ، والجاغُرِي وغيرها . وقد استقر الهزارية في القرى ، وسكن زعماؤهم السابقون ذوو السلطان العظيـم في قلاع النبلاء ؛ وهم شيعيون ، وكـانوا يحتفظون بما

يشبه الاستقلال حتى عهد الأمير عبد الرحمن ، وقد اتهمهم جيرانهم السنيــون بممارسة شعائر « إطفاء المصابيح » المخزيـة والتسهل في الآداب الجنسيـة بصفة عامة . فلما أخضعهم الأمير الأفغاني آخر الأمر سعى كثير منهم إلـى الالتجاء إلـى كَوَطَّة وغيـرها من الأماكن خارج أفغانستان . ويشتغل عدد كبيــر من الهزارية عمالاً في كابل وغيرها من المدن . وفيهم بلا شك سمات من الجنس المغولـي ولـكنهم في العادة يتميزون عن الأوزبكية الذين تزداد وجوههم فلـطحة عن الهزارية . وأقصى من ذلك غرباً ، علـى جانبَي هري رود ، نجد الجهار أيماق (انظر هذه المادة ، ومعنى الاسم : القبائل الأربع) السنيين ، وهو مصطلح يستخدم فيما يظهر بشيء من التساهل ولكنه يشمل عادة التَّيْمَنِيَّة (جنوبي هري رود) والفيـروز كوهية (شمال هذا النهر) والجمشيدية (كوشك) والتيمورية (غربي هراة في فارس) والهزارية (قلعة

نو) ، والـراجح أنهم لا يلتبسون بالهزاريـة الشرقيين ، ويظن في كثيـر من الأحوال أن الهزاريـة انحدروا من جنود جنكيـز خان ، علـى أن الاحتمال الأرجح أن عناصر مغولية ، وتركية إلـى حد ما ، قد احتلـت شيئاً فشيئاً الأراضي التي خربها هو وخلفاؤه (انظر Bacon : المصدر المذكور) .

د - سكان هندوكش الهنديين الآريين

الهنود الآريون والكافرية : وأهم القبائل الهندية الأوربية « الدردية » في أفغانستان هم البشائية (ويعرفون محليّاً أيضاً بالدهكانية) في كوهستان كابل ولَغْمان ووادي كونر الأسفل . وهم بقايا سكان كابشة ونكرهاره الهنود والبوذيين القدماء . وهناك أيضاً بعض جماعات صغرى من أصل هندي آري في إقليم كونر ، ويسكن نورستان (كافرستان فيما سبق) عدد من القبائل تتميز لغويّاً من الهنود الأوربيين الأقحاح (انظر مادة « كافرستان ») وقد

غزا هؤلاء آخر الأمر عبد الرحمن سنة ١٨٩٦ ، وأدخلوا في الإسلام ، وظل بعض القبائل الدردية أيضاً على الوثنية حتى عهود حديثة بعض الحداثة . ويسمى الكافرية الآن النورستانية أو الجديدية أي الداخلون الجدد في الإسلام . وكانت ديانتهم القديمة شِرْكاً من طراز هندي ، وعبادة مجموعة من الآلهة تختلف من قبيلة إلى قبيلة . وليس بين أيدينا شاهد على أنهم من أصل إغريقي كما يقال على سبيل التأكيد في بعض الأحيان .

وكان جيرانهم يقسمونهم إلى « سياه پوش » أي ذوي الأردية السوداء (الكاتية والكامية) و « سفيد پوش » أي ذوي الأردية البيضاء (الوايكلية والأشكونية والپرسونية والبزونيوية) ، ويضم الكافرية من حيث الجنس عناصر شرقية ودينارية وشمالية علاوة على جنس قصير ذي رؤوس مستطيلة له صلة بسكان غربي الهمالايا . ونسبة أصحاب الدم

الأشقر مرتفعة بين بعض القبائل .

وثمة بعض الجاط(انظر هذه المادة ؛ أي النَّوَر) في أفغانستان ، ويوجد قليل من الكوجرية (انظر هذه المادة) في وادي كونر . أما الهندوس فقد استقروا تجاراً ومسلِّفي نقود في كابل ومدن أخرى ، وزرّاع حدائق في كوه دامن شمالي كابل .

٣ - اللغـــات

- اللغات الإيرانية الأخرى .
- الهندية - الآرية والكافرية .
- لغات ليست هندية آرية .

اللغات

يذكـر بابر إحدى عشرة لغة يتحدث بها القوم في إقليـم كابل ، وعدد اللغات الحقيقي في قطر أفغانستان كله أكبر من هذا بكثيـر . ويتحدث معظم السكــان بالبشتو أو بالفارسيــة ، وكل منهما لغة إيرانية .

أما عن البشتو فانظر مادة « الأفغان » .

اللغات الإيرانية الأخرى :

اللغات الإيرانية الأخرى : معظم اللهجات الفارسية (انظر مادة « إيران » القسم الخاص باللغة) التي يتحدث بها في أفغانستان من الشعبة الشرقية التي تحتفظ بالتفرقة بين خاصة المجهول : e و o والمعروف i و u . وتندمج هذه اللهجات بإقليم هراة في الشعبة الغربية ، وتتسم لهجة الهزارية بسمات خاصة بها . أما لهجة البلوجي فهي تجاوز - أو تكاد - الحد إلى الصحراوات الجنوبية . والأورمرية في وادي لوغر جنوبي كابل في طريقها إلى

الاندثار ، ولـكن القوم لا يزالـون يتحدثون بها في كانكُرام بوزيـرستان ، وفي شمالـي هندوكش بجبال بذخشان ، بقيـت اللغات المعروفة بلغات پاميـر أو غلچة (انظر هذه المادة) على أن من المرجح أنها تنكمش وتحل محلها بالتدريج الفارسية التاجيكية .

وهذه اللغات تشمل المُنْجى التي يتحدث بها في مُنْجان (مع لهجة انشعبت منها تعرف باسم « يِدْغَة » في چنرال) ولغة وخى التي عفى عليها الـزمن في وَخان (وهي تمتد إلـى كلكـت وچترال) ، والسنكليچي والزيباكي ، والإشكاشمي عند ثنية نهر جيحون وفي وادي وردوج الأعلـى ؛ والـشُّغْني ، والروشاني في وادي جيحون شمالي « إشْكاشم » .

الهنـدية الآريـة والكـافرية :

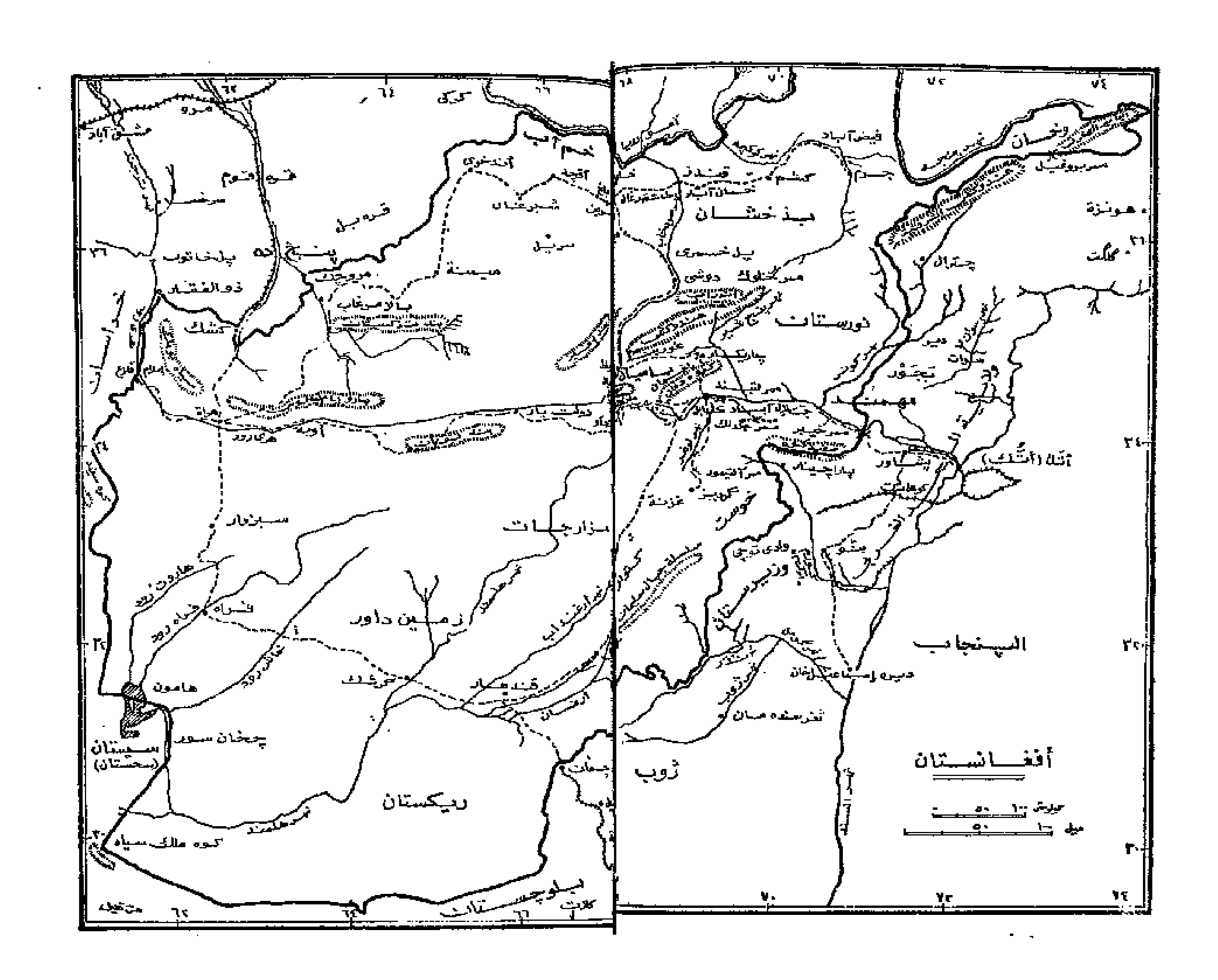
الهندية الآرية والكافرية : ونحن نجد ، إلى جانب اللهندا التي يتحدث بها الهنود ، عدداً من اللغات واللهجات الهندية الآرية على مشارف نورستان في شمالي شرق أفغانستان ؛ وهي تنتسب إلى الشعبة الدردية من الهندية الآرية ، وأهمها البشائي التي لها عدة لهجات تختلف فيما بينها اختلافاً واسعاً ، وهي غنية في ميدان الشعر الشعبي ، ففي وادي كونر لصق حد چترال ، يتحدث القوم بالكاور باتي . أما اللغات الكافرية (كاتي ، ووايكلي ، وأشكون ، وبرسون) فلها مكانة مستقلة بعض الاستقلال ، ولاشك أنها انشعبت من الهندية الآرية فيما قبل العهود الڤيدية ، ولكن هذه اللغات تكتظّ الآن بعناصر هندية آرية خالصة .

لـغات ليست هندية آريّـة

لغات ليست هندية آرية : يتحدث باللهجات التركية الأوزبكية التركمانُ والقرغيزُ في شمالي أفغانستان . وقد تخلى معظم الهزارية الآن عن لغتهم القديمة ، والراجح أن هذا هو الحال بالنسبة للجهار أيماقية . ولكن ماكنزي Mackenzie . F كان لا يزال قادراً (استناداً إلى اتصال شخصي) سنة ١٩٥١ على أن يجمع قوائم بكلمات تشمل كثيراً من الألفاظ المغولية الأصل من بين الهزارية في بيهسود والمغول في شمالي ميمنة . ويقال إن بعض البدو غربي مزار شريف لا يزالون يتحدثون بالعربية ، ويصدق هذا أيضاً على بعض العرب في تاجيكستان .

٤ ـ الـــدّيـن

منذ دخول الكافريــة في الإسلام أصبح جميع سكـــان أفغانستان تقريباً من المسلمين ، وأغلبيتهم العظمى من أهل السنة ، أما الشيعة فهم الهزاريــة والقزلباش وكيانيــة سيستان (سجستان) وهراة ، وقليل من القبائل البطهانية على الحدود (التورية ، وبعض بطون من الأور كزائي وبنكش إلـــى جانب أشراف تراه) وبعض الكوهستانيــة والبذخشيــة ، والإسماعيلية من هؤلاء هم سكان بذخشان (ويدخل فيها شُغْنان ووَخان وغيرهما) وكثير من پشائية لغمان



أفغانستان
ريكستان
بلوچستان
البنجاب
نورستان
بدخشان
هزارجات
زمين داور
وزيرستان
ژوب
سبزوار
هامون
ميمنة

والوديان المتاخمة ، ويطلق البذخشية على أنفسهم لقب الملاّئية وعرف البِشائية بالعلى إلّهية وقد يكون بين البطهانية بعدُ أتباع في الخفاء للزنديق الكبير بايزيد أنصاري .

والإسلام على مذهب أهل السنة ثابت مكين في أفغانستان ، والشريعة الإسلامية فيها مرعية ، ويؤخذ الهنود والشيعة بالتسامح ، أما الأحمدية فلا يسمح لهم بدخول البلاد ، كما أن بعثات التبشير المسيحية محرمة ، ويقدس الناس أولياء أفغانستان وقبورهم . وكثيراً ما كان للملاّوات بين القبائل البطهانية على الحدود شأن هام في السياسة المحلية وفي إعلان الجهاد .] موركنستيرن *G.Morgenstierne*

٥ـ التاريخ

١ـ ماقبل الإسلام

٢ـ التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة الاسلامية الوطنية

أ ـ حتى العصر المغولي .

ب ـ المغول والكرت .

ج ـ أفغانستان بين أمبراطوريتي المغل والصفويين .

٣ـ الدولة الأفغانية الوطنية .

أ ـ البيت السدوزائي .

ب ـ البيت الباركزائي (أو المحمدزائي)

ماقبل الإسلام

إن البقاع التي تعرف الآن بأفغانستان كانت تسكنها قبائل إيرانية أثناء الهجرات الآرية في الألف الأول والألف الثاني قبل الميلاد ، وقد أدخلها قورش في الإمبراطورية الأكمينية وتنازعها بعد غزوات الإسكندر ، أهل بلخ (Bactrians) المتأغرقون والفرثيون . وفي القرن الأول قبل الميلاد حدث تدفق جديد للقبائل الإيرانية تحت زعامة قبيلة يوه تشي الكوشية ، والامبراطورية الكوشية ، التي بلغت أوج عزها بزعامة كوجولا كادفيسس في القرن الأول الميلادي

وبزعامة كانشكا في القرن الثاني . قد سقطت آخر الأمر في يد الساسانيين وعلى رأسهم شابور الثاني (شابور) ، والراجح أن ذلك حدث في منتصف القرن الرابع الميلادي . وحدث بُعيد سنة ٣٥٠ أن وقع ضغط من العناصر المغولية التركية من ناحية الشرق على قبائل يوه تشي التي بقيت في كاشغريا ، فدفع هذه القبائل إلى الظهور في بكتريا (بلخ) يعاونها حلف من قبائل من أصل متقارب تعرف بالجيونية ، وسار سابور لملاقاة الغزاة على الرغم من الحرب التي كانت قائمة بينه وبين رومة ، ولكنه اضطر إلى التصالح معهم وإسكانهم في بكتريا وأقاليمها الخارجية لقاء معاونتهم له على الرومان .

ولم يلبث كِدَرا ملك يوه تشي ـ أو « الكوشانيين الصغار » ـ أن مدّ فتوحه إلى جنوبي هندوكش . وضم باروبا ميساد وكندهاره . وإلى وقت هذا التوسع يجب أن نُرجع قيام قبيلة من الجيونية والزابلية

في غزنة . وقد أدت الجهود التي بذلها كِدَرا لدعم استقلالــه إلــى صدام جديــد مع سابور ، وانحاز الجيونيــة فيــه إلــى سابور ؛ وفقد كدرا مملــكته ، والراجح أنه فقد حياته . وانتقلت باكتريا إلى أيـدي الجيونيــة المعروفين بالهياطلــة نسبة إلــى اسم بيتهم الحاكم ، وحوالـي سنة ٤٠٠ م كانت الأراضي التي إلى الشمال من هندوكش وجنوبيها في حوزة الهياطلة الجيونية الذين شعبتهم سلسلة الجبال شعبتين ، ولو أن الشعبة الجنوبيــة كانت تعترف بسيــادة الشعبة الشمالية ، ومع ذلك فقد ظلت الشعبتان على ولائهما للساسانيين . وبقيــت هذه التبعيــة ما بقي البيـــت الحاكم الفارسي قويّاً ، على أنه ما وافى مستهل القرن الخامس الميـلادي حتى استغل الهياطلـة المصاعب التي تعانيها فارس في نضالها مع رومة وفي دفاعها عن ممرات القوقاز ضد البرابرة وحاولــوا أن ينفضوا عن كاهلهم هذه التبعية ولم ينالوا من وراء ذلك إلا العودة

إلى الخضوع على يد بهرام كور في نفس الوقت الذي أوقف فيه ملوك كويتا ضغطهم تجاه الهند .

وكـان منتصف القرن الخامس الميـلادي نقطة تحوّل في العلاقات بين فارس والهياطلة . ففي عهد فيروز أحرز الهياطلة سنة ٤٨٤ م نصراً كاد أن يحيلهم من أتباع لإيـران إلـى سادة لها ، وظل الساسانيـون يؤدون لهم جزية أكثر من نصف قرن . وإنما حدث حوالي سنة ٥٦٠ م أن ظهر على مسرح الحوادث في أواسط آسيـة قوم جدد هم الأتراك الغربيـون ،فعقد تحالف بينهم وبين كسرى الأول أدى إلى زوال دولة الهياطلة الكبرى .

وحذت حذو الهياطلـة مملكـة زابل ؛ أو مملكـة الچيونيـة الجنوبيين . ففي نهايـة القرن الخامس الميلادي حكمـت أسرة جديـدة البـلاد التـي إلـى الجنوب من هندوكش ، وقد قام مَلِكـاها : تورامانا ومهراكولا (حوالي ٥١٥ ـ ٥٤٤ م) بغزوات واسعة

النطاق في الهند . وكان الملك الثاني منصرفاً إلى عبادة إله شمسي هو مهره ، وقد خلف وراءه ذكرى اضطهادات فظيعة استمرت حتى قضى عليه حلف وطني هندي . وقد سبق اختفاء مملكة الجيونية الجنوبيين بسنوات قلائل القضاء على سيادة الهياطلة في البقاع الشمالية .

ولما تحطمت هاتان المملكتان ظلت أراضيهما في يد عدد من الأمراء الصغار أصبح بعضهم أقيالاً للساسانيين ، وبعضهم أقيالاً للأتراك ، وقد تمثلت الحالة السياسية لشرقي أفغانستان حوالي منتصف القرن السابع الميلادي في وصف الرحلات التي قام بها الجوّاب الصيني هيوون تسانغ ، فقد ورد فيه ـ لأول مرة في مصدر تاريخي ـ شعب الأفغان بصيغة « بلاد أبثوكين » الواقعة في الجزء الشمالي من جبال سليمان .

وبعد زيارة هيوون تسانغ لها بوقت قصير حطمت أسرة تانغ الحاكمة الصينية الأتراك الغربيين وبسطت سيادتها على الأراضي التي إلى الغرب من بامير . وانقضى قرن كامل (٦٥٩ ـ ٧٥١ م) ظلت فيه ست عشرة مملكة شمالي هندوكُش وجنوبيها تعترف بسلطان الإمبراطور الصيني اعترافاً أقرب إلى الاعتراف الاسمي منه إلى الاعتراف الفعلي ، أما الفاتحون العرب الذين اجتاحوا إيران بسرعة شديدة ، فقد أوقفوا في هذا الجزء من أفغانستان لما أبداه آخر الملوك الصغار الباقين من مقاومة عززتها الفتن والخلافات التي نشبت بين القبائل الغازية ، ولم يحرز الإسلام انتصاره الأخير جنوبي هندوكس إلا في نهاية القرن التاسع الميلادي . ومهما يكن من شيء فإن عنصر الهياطلة لم يختف دون أن يترك آثاراً في التكوين السلالي لأفغانستان الحديثة ، ولا يزال يوجد في بذخشان جماعة مهمة تحمل اسم « هَيْطَل » ، [غرشمان *R. Ghirshman*]

تاريخها الإسلامي حتى قيام الدولة الأفغانية الوطنية

- حتى العصر المغولي
- المغول والكرت
- أفغانستان بين امبراطوريتي المغل والصفويين

حتى العصر المغولي

حتى العصر المغولـي : الأراضي التي تكـون أفغانستان الحديثة كانت تتبع في الألف السنة الأولى من التاريخ الإسلامي ولايات مختلفة ، ومع أن هذه الولايات المجاورة قد جرت عليها في كثير من الأحيان نفس التقلبات فإنها لم تكن في أي وقت وحدة مستقلة . وكذلك لم يُقسم الأفغان دولـة خاصة بهم حتى أيـام ميـرويس بعامة ، وأيـام أحمد شاه دراني بخاصة . وقد لخص القليل الذي نعرفه عن التاريخ الأول للأفغان في مادة « أفغان » . وحسبنا هنا أن نلم إلماماً وجيزاً بهذا القطر .

في أيام الفتوح الإسلامية لم تلبث الولايات التي كانت تابعة للامبراطورية الساسانية أن اجتيحت ، وقد اخترقت موجة من الفتح سجستان ، ولكن المحاولات التي ظلت تبذل خلال القرون الثلاثة الأولى لغزو كابل من هذه القاعدة لم تؤدِّ إلى نتائج باقية حتى قيام الدولة الصفَّارية (أنظر هذه المادة) .

وقد قاومت ولاية كابل الاصطباغ بالصبغة الإسلامية مدة أطول من سائر الولايات الإسلامية الشرقية ، ولم يتحقق هذا تمام التحقيق إلا في عهد الغزنويين ، وفي منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) انتزع ألب تكين (انظر هذه المادة) غزنة من حاكمها السابق لَويك ، وغزا زابلستان وأقام إمارة مستقلة ورثها ابنه اسحق ثم ورثها مولى له هو بلكاتكين ثم ورثها مولى آخر هو سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية (انظر هذه المادة) .وكان مقر هذه الدولة في غزنة ، ومن هذه

المدينة خرج محمود (انظر هذه المادة) أعظم الحكام الغزنويين ، في حملاته على بلاد فارس غرباً والهند شرقاً . ومع أن الاسم « آفغان » قد ظهر لأول مرة عند المؤرخين حوالي هذا الوقت ، فإن البيت الحاكم الغزنوي لم يكن بأي وجه بيتاً أفغانيّاً قومياً ، والراجح أن الجيوش كان معظمها من الأتراك ، ولما سار محمود إلى بلخ لقتال الحاكم القره خاني كان جيشه - في رواية العتبي - يتألف من هنود وخلج (انظر هذه المادة) وأفغان وغزنويين ، والمقصود بالغزنويين بلا شك الإيرانيون (التاجيك : انظر مادة « تاجيك ») في ولاية غزنة . وفي سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) هاجم محمود أفغانَ سليمان كوه ونهب منازلهم .

وما أشرفت حياة محمود على النهاية حتى كان يحكم ممتلكات واسعة تشمل غربي خراسان وجزءاً من بلاد الجبال وطبرستان كما يشمل في الشرق

البنجاب كله ، وكان نفوذه ناحية الشمال يمتد إلى ما وراء نهر جيحون ، بينما يتألف مركز هذه الممتلكات من جميع البلاد التي تعرف حالياً بأفغانستان . وكان لشخصية هذا الفاتح العظيم أثر عميق ، فقد أصبح بوجه من الوجوه بطلاً قومياً في البلاد التي كانت قلب إمبراطوريته (انظر عن بقية تاريخ هذه الأسرة مادة « الغزنويون ») . وقد اضطر بهرام شاه (٥١١ ـ ٥٥٢ هـ = ١١١٨ ـ ١١٥٧ م) إلى الاعتراف بسيادة السلاجقة ؛ ثم ازدادت قوة زعماء الغور شيئاً فشيئاً وطردوا الغزنويين بعد صراعات طويلة . والراجح أن البيت الحاكم الغوري كان من أصل تاجيكي ، وقد وقفت الغزوات التي شنها الغز والخوارز مشاهية في طريق تقدم هذه الأسرة ، وبذلك فقد الغوريون سلطانهم في موطنهم هم ، ولكنهم نجحوا في إقامة إمبراطورية في الهند ورثها مواليهم الأتراك ، وقد اضطر جلال الدين منكوبرتي

السليل الأخير لبيت الخوارزمشاهية أن ينسحب أمام
المغول بقيادة جنكيز خان بعد مقاومة شديدة .

المغول والكرت

المغول والكرت : غزا تولى بن جنكيز هراة وسيستان (سجستان) ، وغزا أكداى غزنة . ودخل أكداى أيضاً بلاد الغور واتخذ منها قاعدة لحملاته فغزا جبال فيروز كوه وغرشستان ، كما غزا سهول كرمسير وسيستان . وأطيح بالملوك الغوريين ودمرت فيروز كوه عن آخرها . وبذلت تولك وبعض المعاقل الجبلية بعض المقاومة ولكن بلا جدوى . وكان الأمير محمد الغرشستاني سليل الملوك الغوريين من ناحية الأم ـ بطلاً من أبطال المقاومة في الغور ، وقد

قتل في حصن أشْيـــر سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) ، وكان مؤسسو بيت كرت الحاكم من سلالته ، وأدمج الجزء الأكبر من أفغانستان في الإمبراطوريـــة المغولية . على أن زعيماً تركيّـاً في الشرق هو سيف الدين حسن قرلغ حاول مدة من الزمن الاستيلاء على باميان وغزنة والغور ، وربما كان هذا الزعيم تحالف من قبل مع جلال الدين منكوبرتي . ولا شك أنه قد مارس سلطانه سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) وهي السنة التي ضرب فيها السكة باسم الخليفة الـظاهر . وفي سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) خضع سيف الـدين هذا لأكداي ووضع تحت مراقبة « شحنة » مغولي . على أنه طرد عبر وادي كرم إلى الهند ، وفي السند حكم هو وابنه ناصر عشرين سنة أخرى ، وقد اتخذت غزنة ووادي كرم قاعدة شن منها المغول غاراتهم الأخرى علـــى الهند ، ولـــم نسمع عن الأفغان في هذه الحركـــات ، وربما كانوا لم يبلغوا بعد شمالاً وادي

كرم . ولما توفي أكداي قسمت إمبراطوريـة المغول ووقعت أفغانستان من نصيب إيلخانيـة فارس . وفي ظل سلطانهم تسنّمت السلـطة أسرة حاكمة تاجيكيـة هي الأسرة الكرتية وحكمت الجزء الأكبر من البلاد ما يقرب من مائتي سنة . وكـان تيمور هو الـذي قضى على دولة الكرت الذين كانوا يمثلون آخر جهد بذلـه العنصر التاجيكي في الغور وهراة لإقامة دولة مستقلة في بلادهم . ومن هذا التاريخ حتى قيام الأفغان في القرن الثامن عشر لم تتولَّ الحكم في أفغانستان أيـة أسرة وطنية .

أفغانستان بين أمبراطوريتي المغـــل والصـــــفويين

تيمور والتيموريــة : وقد نكبت سجستان بتخريــب مروع أثناء غزوة تيمور . ولــم تلبث كابل وقندهار ـ وكــان قد بدأ يكـــون لهما شأن ـ أن أخضعتا وأصبحت البلاد كلها جزءاً من إمبراطوريــة تيمور . وفي سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) ولّى تيمور وجهه ناحية الشرق وترك حفيده پير محمد والياً على كابل وغزنة وقندهار ، وأقطع ابنه مملكــةخراسان وقصبتها هراة . وهاجم پير محمد أفغانَ سليمان كوه ثم تقدم إلى الهند . ولما بلغ تيمور خبر المقاومة التي لقيها پيــر في مُلْتان سار هو نفسه من أندراب مخترقاً جبال هندوكش ثم انثنى عند لغمان ليهاجم سياه پوش

وكافرية كتور . وبعد هذه الحملة أغار على الأفغان المتمردين ثم عبر نهر السند ، وقد مر تيمور بـ « بانو » في سيره خارج البلاد وفي طريق عودته . ومن ثم فالراجح أنه اتخذ طريق « توچي » الذي يخط بلاد الغلزائي والوزيري . ولم نسمع أن الأفغان كانوا يعملون في جيشه، ولو أن هذا الجيش كان فيه تاجيك.

ولما توفي تيمور سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) كان پير محمد يحكم في كابل . على أن خليلاً هو الذي استحوذ على عرش الإمبراطورية (من شاء زيادة في التفصيل عن تاريخ أحفاد تيمور فلينظر مادة « التيمورية ») . وقد انتهت الحرب التي أعقبت ذلك بقتل بير محمد . ولم يلبث خليل أن أُقصي عن العرش وأصبح شاهْرُخ هو الحاكم الأعلى . وكان عهده ـ الذي دام أربعين سنة تقريباً ـ عهد سلام استطاعت فيه البلاد أن تفيق من أعمال التخريب التي حلّت بها في السنوات الأخيرة ، وخلف شاهرخ ألغ

بك فعبد اللطيف فعبد اللّه فبابر ميرزا ، وحكم كل منهم مدة قصيرة . وفي سنة ٨٦١ هـ (١٤٥٦ م) اعتلى العرش أبو سعيد ، ولكن مُلك خراسان وأفغانستان كان موضع نزاع بينه وبين حسين بيقرا . وقد هزم حسين سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م) ، ولكن أبا سعيد توفي بعد سنتين ، ولم ينل خلفه سلطانُ أحمد خراسانَ بحال ، وحكم حسين بيقرا بلا منازع من قصبته هراة ، حكم خراسان وسيستان وغور وزمين داور . وقد بلغت هراة في عهدَي شاهرخ وحسين بيقرا الطويلَين أوج شهرتها قاعدةً للشعر والعلم والفن . وفي السنوات الأخيرة من عهد حسين بيقرا هدد حاكم من الشمال سلطان شيباني وأزابكته النامي ، على حين أظهرت الأجزاء الأخرى من أفغانستان ميلا إلى الانقسام إمارات قائمة بذاتها وإن كان لا يحكمها أمراء من أهلها . ومكّن بابر لنفسه في كابل واتخذ لقب

« بادشاه » . وكانت كابل حتى ذلك الوقت تحت حكم أعضاء من البيت التيموري يتفاوت حظهم من الاستقلال . وكان مقيم بن أرغون قد استولى عليها وشيكاً حين ظهر بابر أمامها واحتلها سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٥ م) . وظلت كابل تحت حكم بابر وخلفائه أباطرة الهند (انظر مادة « مغل ») أكثر من مائتي سنة حتى فتحها نادر شاه .

بابر ، أرغون ، الأوزبكية ، شاه إسماعيل : وكان قيام أسرة أرغون (انظر هذه المادة) أعظم من ذلك خطراً على مملكة خراسان . ذلك أن مؤسسها ذا النون بك أرغون سليل الإيلخانية ووالي غور وسيستان قد تلقى أيضاً بعد هزيمة قبيلَتي هزارة ونيكوداري إقليمي زابلستان وكرمسير . واتخذ ذو النون قندهار قصبة له واستقل بأمر نفسه وبسط حكمه بمعاونة ابنه شاه بك جنوباً حتى ممر بولان وسيوستان ، بل لقد بلغ به الأمر أن غزا هراة سنة

٩٠٤ هـ (١٤٩٨ ـ ١٤٩٩ م) وجند جيشه من سكـان غور وزمين داور وقندهار ، ومن التاجيك والأفغان فيما يرجح ، وغزاابنه مقيم كابل كما بيَّنا من قبل ، وإن كانت غزوته لها لم تدم إلا مدة قصيرة . على أن غزوة شيباني قد أثبتت زوال سلطان ذي النون بك ، فقد قتـل في المعـركة الأولى مع الأوزبـكية ، واحتل شيباني هراة سنة ٩١٣هـ (١٥٠٧ م) .

وهنالك وقع ابنا ذي النون ـ شاه بك ومقيم ـ بين بابر وشيباني . فقد ادعى بابر ، ومعه بعض الحق ، أنه وريث إمبراطورية تيموروتقدم مغـيراًعلى قندهار، على حـين تحـالف أمراءأرغـون على عدوهـم القديم شيباني . وهزمهم بابر واستولى على قندهار ، وترك عليها والياً من قبله هو ابنه ناصر ميرزا الذي لم يلبث أن هاجم شيباني . وكان بابر بشخصه في طريقه إلى هراة لتنسيـق إجراءات الـدفاع ضد الأوزبكيـة مع سلطان حسين ، وهنالك سمع بوفاة سلطان حسين ،

فانضم إلى أبناء سلطان في حملتهم على المرغاب ، ثم زار هراة وعاد شتاءً بالطريق الجبلي إلى كابل ، وكانت هذه رحلة لقي فيها هو وجنوده شدائد عظيمة . عاد بابر إلى كابل سنة ٩١٢ هـ (أوائل سنة ١٥٠٧ م) في عز الوقت المناسب للقضاء على مؤامرة خطيرة أفرخت بين أقربائه . ثم تابع حملته على قندهار في الصيف ، وما وافَى شهر جمادى الأولى سنة ٩١٣ هـ (سبتمبر سنة ١٥٠٧) حتى كان قد رجع إلى كابل ليجهز لحملة على الهند ، وما إن بدأها حتى أعاده على أعقابه الخبر بأن قندهار قد سقطت وأن الأرغونيين قد أعادهم شيباني إلى الحكم . وكان بابر عندما بلغه هذا الخبر مشتبكاً بالفعل في حرب مع قبائل جكدلك وننكرهار الأفغانية ، وهي قبائل كانت قد استقرت حديثاً في وادي كابل . ولقي بابر مشقة عظيمة في الثبات في كابل نفسها ، ذلك أن سلطانه كان مهدداً بفتنة

وعصيان . وكان شيباني وقتذاك مستحوذاً على خراسان ، وسيداً على قندهار ، ولكن سلطانه كان آخذاً في الاضمحلال . وعانت جيوشه بلاء شديداً أثناء حملة شنها على جبال غور ، وقد هدده من الغرب ملك محارب آخر هو الشاه إسماعيل مؤسس المملكة الصفوية . وفي سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) غزا إسماعيل خراسان وهزم شيباني وقتل بالقرب من مرو . وانتقلت هراة إلى حوزة إسماعيل وفرضت عليها مبادىء الشيعة . وهنالك تحالف بابر مع إسماعيل واسترد إلى حين أملاكه الوراثية في آسية الوسطى تاركاً مملكة كابل لأخيه ناصر ميرزا . على أن هذا التحالف لم يقابل بالترحيب ، وسخر منه الأوزبكية . ولقي بابر هزيمة منكرة بالقرب من غردوان سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) نجا منها بجلده بشق النفس ، ولم يجد آخر الأمر بدّاً من الارتداد منقلباً إلى كابل التي وجدها في حالة اضطراب

شديد ، وكان عليه أن يخمد عدة فتن بين جنوده من المغل وبين القبائل الأفغانية ، وكان اليوسفزائي قد هبطوا من الجبال إلى وادي پشاور وطردوا أسلافهم الدلازاكية من جبال باجَوّر وسوات ، وقد أخمد بابر حركتهم بشدة واسترد باجور بمذبحة عظيمة ، وقد اضطر بابر أيضاً إلى إخماد فتن نشبت بين الهزارية ، ثم صرف همه إلى قندهار حيث كان شاه بك أرغون لا يزال مستتبّاً في الحكم ؛ وحاول عبثاً أن يتفاهم مع الشاه إسماعيل واعتقل في هراة ولكنه هرب من أسره ومضى من وقتها يحاول أن يقيم له مملكة في السند ، وكان قد غزاها بمساعدة بعض القبائل البلوجية سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م) ، وقد بذل بابر محاولتَين للاستيلاء على قندهار حتى نجح في ذلك أخيراً سنة ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) ، وعند ذلك نقل شاه بك مقر قيادته إلى شال (كَوَطَّة) صيفاً وسيبي شتاءً ، ومضى يتابع تنفيذ خططه في السند ، على حين ظلت ولاية

قندهار كلها في يد بابر ، وهنالك أحس بابر بأنه من القوة بحيث يستطيع أن يشرع في مجموعة من التدابير انتهت بالإطاحة بمملكة الأفغان اللودية في الهند ، وكان دائماً يؤثر كابل على سهول الهند ، وقد دفن بغزنة حيث يقوم عمود شاهداً على قبره .

أفغانستان بين إمبراطوريتي المغل والصفَويين :

ودخلت أفغانستان في عهد أكثر استقراراً في ظل سلطان إمبراطوريتي الهند وفارس العظيمتَين اللتين اقتسمتاها . وقد ظلت هراة وسجستان مع فارس ولو أن أحوالهما ظلت مدة تعكر صفوها الغارات الأوزبكية ؛ وبقيت كابل جزءاً من إمبراطورية المغل على حين كانت قندهار تتبع حيناً هذه الإمبراطورية وحيناً تلك ، وأخذ سلطان أباطرة المغل يقتصر شيئاً فشيئاً على جنوبي هندوكُش ، وإلى الشمال منها استطاع سليمان ميرزا ، الذي كان قد أقامه بابر والياً على بذخشان ، أن يقيم ما يشبه البيت الحاكم

المستقل ، وظلت بقية البلاد في يد الشيبانية ، وتوفي إسماعيل سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) وبابر سنة ٩٣٧ هـ (١٥٣٠ م) وخلف بابَر ابنُه همايون وتولى إخوته كامران وهندال وعسكري أمر ولايات أخرى ، فقد اتحدت كابل وقندهار مع البنجاب تحت حكم كامران . أما بخصوص الجانب الفارسي فإن طهماسپ خليفة إسماعيل كان أقام أخاه سام ميرزا والياً على هراة . وكان الصفويون يَعدّون قندهار إقطاعاً ملحقاً بمملكة خراسان التي كانت وقتئذ في حوزتهم ، ويعتبرون احتلال أباطرة المغل لها اغتصاباً ، وفي سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) قام سام ميرزا بهجوم مفاجىء عليها ، ولكنها قاومته بنجاح ، وبعد ثمانية أشهر وصل كامران ورفع عنها الحصار . وفي غيبة سام غزا الأوزبكية بقيادة عبد اللّه خراسان ، واستولى للمرة الثانية على هراة البائسة ونهبت ؛ واستردها طهماسپ وخلع سام وهاجم بنفسه قندهار

وفتحها ، ولـكن كامران استردها . وفي هذه الأثناء فقد همايون عرشه في الهند نتيجة لقيام الأفغان السور بقيادة شيرشاه ، وفي سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) اتخذ طريقه من السند مخترقاً الصحراء الممتدة جنوبي قندهار حتى بلغ سجستان وفارس حيث أكرم وفادته الشاه طهماسپ . وفي سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) استطاع بقيادة جيش فارسي أن يضرب الحصار حول قندهار التي كان يرده عنها أخوه عسكري من قبل كامران ، واستولى عليها بعد مقاومة طويلة . وقد نفذ همايون اتفاقه مع طهماسپ فسلم المدينة للفرس ، ولـكن هذا الفعل منه أثار السخط بين أتباعه ، فاسترد قندهار آخر الأمر من الفرس وعامل هذه الولاية معاملته جزءاً من أملاكه فأغضب ذلك طهماسپ غضباً شديداً . ولم يلبث همايون أن استولى على كابل واسترد ابنه الصغير أكبر الذي كان قد بلغ آنئذ الثالثة من عمره . ومضت الحرب بين

الإخوة في السنوات القليلة التالية بلا نتيجة حاسمة .
فقد استرد كامرانُ كابلَ مرتين ولـكنه لم يستطع أن يستبقيها طويلاً . ويقال إنه أبرز الأمير الصغير أكبر في إحدى المناسبات مكشوفاً علـى الحصون . ثم قضى بعض الوقت بين قبائل مهمند وخليل الأفغانية وحرضها على سلب وادي كابل . ثم سلم آخر الأمر لهمايون سنة ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م) فَسُمِلَتْ عيناه .
وبذلك استولى همايون على مملكته وقندهار وأحس أنه بلغ من القوة ما يستطيع به أن يحاول معاودة غزو الهند ، وانتهى ذلك بانتصاره على ملوك سور ولكنه لم يلبث أن توفي سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) متأثراً بحادث . وبينما كان الملك الشاب أكبر مشغولاً بإتمام غزو الهند من جديـد انتهز طهماسپ الفرصة سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٨ م) واستولى علـى قندهار ، وظلت تحت الحكم الفارسي حتى سلمها الأمير مظفّر حسين لأكبر بعد ذلك بثمان وثلاثين سنة أي سنة

١٠٠٣ هـ (١٦٢١ م) . واستردها الشاه عباس ولكن خلفه الشاه صفي الأول فقدها مرة أخرى ، فقد سلّمها واليها في عهده علـى مروان خان لشاه جهان سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧ م) وكذلك أخذت كرشك بعد أن ضُرب عليها حصار ، واحتُلت زمين داور . وفي سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) ، قاد الملك الفارس الشاب عباس الثاني جيشاً وهاجم قندهار واستولى عليها ، وكانت سنه إذ ذاك سّت عشرة سنة فحسب ، ولـم تعد هذه المدينة قط جزءاً من أملاك الإمبراطورية المغلية . وقد حاولت جيوش شاه جهان عبثاً أن تستردها . وشن كل من الأميرَين المتنافسين أورنكزيب ودارا شكوه حملـة عليها ، ولـكنهما باءا هما الاثنان بالخيبة ، وبفشل الحملـة الأخيـرة سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م) لم تبذل في سبيل استعادتها أية حملات أخرى .

وإذا استثنينا التقلبات التي مرت بقندهار ، فليس

أمامنا من تاريخ أفغانستان أيـام كانت مقسمة بين إمبراطوريـة المغل وإمبراطوريـة الصفَويين إلا القليل . وكانت القبائل الأفغانية تزداد نفراً وسلطاناً باطّراد ، والراجح أن هذه الأيام كانت هي الفترة التي انتشر فيها الأبدالية والغلزائية من جبالهم إلى الأراضي الأكثر خصوبة في وديـان قندهار وزمين داور وترنك وأرغنداب . وبتدهور مكـانة وسلـطان الأجناس التاجيكيـة التي تحملـت وطأة الغزوات المغوليـة واحتلال معاقلها الجبلية في غور على يد شعب شبه مغولـي (انظر مادة « هزارة ») تهيأت الفرصة أمام الجنس الأفغاني للبروز . ولم يتأثر الأفغان كثيراً في جبالهم الشرقيـة بالغزاة الـذين كان همهم الأول شق طريقهم عابرين الممرات لسلـب الهند ، كما أن حاجة السكان المعهودة إلى منفذ لعددهم المتزايد ـ مما حملهم على الانتشار في سهول الهند من ناحيـة الشرق ـ قد أدت أيضاً بالقبائل الرعوية إلى الانتشار

غرباً ؛ وظلت القبائل الجبلية تمارس حياة تكاد تخلو من أي نظام ؛ وكانت الحكومة المغلية في كابل تحكم بالاسم فحسب ، ولكن سلطانها الفعلي انحصر في الوديان المكشوفة ، مثال ذلك ما حدث سنة ٩٩٤ هـ (١٦٨٦ م) إذ مُني جيش أكبر بهزيمة منكرة على يد يوسفزائية سوات وباجور ، ولقي القائد راجا بيربل مصرعه ، ثم هزم راجا مان سنغ من بعد الجبليين ولكنهم لم يغزوا في الحق قط ، وكانوا في كثير من الأحيان يغيرون على السهول وينحازون في بعض الأحيان إلى هذا الجانب أو ذاك من بيوت الحكم المتنازعة ، مثال ذلك انتصار اليوسفرائية لقضية الأمير شجاع المطالب بالعرش في نزاعه مع أورنكزيب . وعندما كان شاه عالم الأول قبل جلوسه على العرش عامل أورنكزيب على كابل سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) حدث أنّ أحد قواده ـ وهو پُرْدِل خان ، وكان أفغانياً ـ قد قتل هو وجميع جنده

أثناء محاولته المرور من خوست إلى كابل ، فاضطر أورنكزيب إلى أن يرشو القبائل ليظل الطريق مفتوحاً بين كابل وپشاور .

الأبدالية والغلزائية ونادرشاه :

الأبدالية والغلزائية ونادر شاه : وقد بذر تقلب الحكم المستمر في قندهار بين الهند وفارس بذور الفرقة والتآمر ومكّن القبائل القوية أن تضرب إحداهما بالأخرى ، ومن ثم نجح الأبدالية (انظر هذه المادة) قرب قندهار في الحصول على امتيازات من الشاه عباس الأكبر واعترف بزعامة « سدو » وأصبحت أسرته السدوزائية هي الأسرة الحاكمة ، غير أن سوء مسلكهم أدّى إلى إجلاء بعض هذه القبيلة إلى ولاية هراة . وقد أدّى هذا الإبعاد إلى بسط قبيلة

غلـزائي (انظر هذه المادة) نفوذها بالقرب من قندهار ، وظل سلطانها يزداد حتى اعتلاء الإمبراطور شاه عالم الأول العرش ، وهنالك بدأ غلزائية قندهار يتآمرون معه علـى الحكـومة الفارسيـة . وانكشفت المؤامرة ، وأنفذ كوركين خان الزعيم الكرجي إلـى قندهار علـى رأس جيش ، وأسر ميـرويس الزعيـم الغلـزائي . علـى أن ميـرويس استطاع ، وهو في الأسر ، أن يكتسب ثقة ملك الفرس الشاه حسين ، فسمح له بالعودة إلـى قبيلته . وسرعان ما غدر بكوركين خان بأن دعاه إلى مأدبة وقتله واستولى على قندهار وأحبط كل المحاولات التي بذلـت لإخضاعه . وتوفي بعد ذلك بقليل وخلفه أخوه عبد العزيز إلا أنه أظهر ميلاً إلى الخضوع لفارس فقتلـه محمود بن ميرويس وأقام نفسه حاكماً .

وفي هذا الوقت نفسه أصبح ذلك الفريق من قبيلة أبدالي الذي يقطن ولاية هراة سيداً عليها في الواقع ،

وهزم هؤلاء الأبدالية جيشاً قويّاً سُيِّر عليهم بقيادة صفي قلي خان وظلوا صامدين حتى أيام نادر شاه ، بل استطاعوا أن ينتزعوا فراه من الغلزائية بعد أن غزا هؤلاء فارس . وبينما كان محمود الغلزائي يقاتل في فارس ، انتشر الأبدالية في خراسان وضربوا الحصار على مشهد . ولم تكن الدولة الغلزائية بحال مهيأة لحكم بلاد كفارس ، ولم تكن وراءهم قوات كافية لمواجهة أية حركة قومية حقة ، بل هم كانوا قد فقدوا عون ولاية قندهار عندما خلف أشرف ابن عمه محموداً الذي كان أخوه قادراً على الاحتفاظ بقندهار .

وكذلك ظل الأبدالية مستقلين في هراة ، ولذلك فإن نادراً (انظر هذه المادة) لما أقام نفسه زعيماً لحركة قومية لم تلبث حكومة أشرف أن انهارت ، ولم ينج من الغلزائية ليبلغ وطنه إلا العدد القليل ؛ وقتل أشرف وهو هائم على وجهه في بلوجستان سنة

١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) ؛ وهنالك وجه نادر قوته إلى الأبداليــة يتزعمهم ملك محمود خان الــذي كان مستحوذاً علــى مشهد سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٨ م) وهزمهم هزيمة منكرة وأسر منهم عدداً كبيراً . علـى أنه قدّر مواهبهم الحربية وضمن تأييدهم بردهم إلـى موطنهم القديم قرب قندهار الذي أقصى منه الغلزائية عندما سنحت له الفرصة فنفاهم إلـى ولايــة هراة ، ولكن لم يستقر فيها منهم إلا العدد القليل إن يكن قد استقر فيها أحد على الإطلاق ، ولا نجد أثرا لهم الآن هناك . ولما نادى نادر شاه بنفسه ملكـاً علـى فارس ضرب الحصار علــى قندهار فقاومته سنة ثم سقطت آخر الأمر سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٨ م) وتحطم سلطان الغلزائية تماماً ، ولكن نادر شاه اتخذ حيـال القبائل الأفغانية عامة وحيال الأبداليـة خاصة سيـاسة التراضي وجند أعداداً كبيرة منهم في جيشه ، والتجأ كثيـر من الغلزائيــة إلــى ولايــة كابل من ولايــات

الإمبراطورية الهندية ، ولم يتلق نادر شاه أي رد على احتجاجاته فسار نحو كابل فسقطت في يده لتوِّها سنة ١١٥١ هـ (١٧٣٨ م) ، ومن ثم اقتطعت آخر الأمر من إمبراطورية المغل ؛ وآخر تاريخ معروف لأية سكة ضربها الإمبراطور محمود شاه فيها هو سنة ١١٣٨ هـ (١٧٢٥ م) ؛ والظاهر أن نادر شاه لم يستعمل سكة كابل ، بل ضرب سكة في قندهار سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) وهي سنة غزوته ، كما أن ثمة سكة أخرى ضربت في نادر آباد (شيدت أثناء الحصار ؛ خارج قندهار) تشير بلا شك إلى مدة الحصار وهنالك أصبحت أفغانستان كلها في قبضته وأتاحت له القاعدة اللازمة لغزوته للهند سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) ؛ وبانتصاره على محمود شاه آلت إليه جميع الأراضي المغلية الواقعة غربي نهر السند بما فيها پشاور وديره جات وأصبحت له السيادة على « الكلهورا » ـ أي الحكام العباسيين للسند ـ

والسيطرة على ولايـة كابل . ولما عاد من دلهي سنة ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ م) عبر نهر السند أول الأمر عند « أتك » وهاجم اليوسفزائيـة الـذين كانوا يثيـرون الاضطراب ثم مضى إلـى كابل ، ومنها انحدر عن طريق وادي كرم وإقليم بنكش واخترق ديره جات إلى السند ، ثم عاد مخترقاً ممر بولان إلى قندهار ومنها إلى هراة ؛ وظل بقية حياته يعتمد اعتماداً كبيراً على جنوده الأفغان ولم يعتمد إلا قليلاً على جنوده الفارسية الذين كان يَزْوَرّ عنهم بحكم أنه كان سني المذهب ؛ وكـان للأبداليـة بنوع خاص الحظوة عنده ، وارتقى زعيمهم الشاب إلـى رتبة رفيعة في جيشه ؛ وتقول الروايـات أن نادراً نفسه تنبأ بأن أحمد سوف يصبح ملكـاً بعده ؛ ولما اغتال الفرس والقزلباش نادر شاه كان أحمد شاه في فرقة قوية من الأبدالية على مقربة من مكان الحادث ، فاغتصب قافلة محملـة بالأموال ثم سار إلى قندهار حيث نادى بنفسه ملكاً .

الدولة الأفغانية الوطنية

أ - البيت السدوزائي الحاكم .

ب - البيت الباركزائي (أو المحمدزائي)

(أ) البيت السدوزائي الحاكم

أقام أحمد شاه نفسه ملكاً على قندهار واستولى على الجانب الشرقي كله من إمبراطورية نادر حتى نهر السند ، وسرعان ما سقطت هراة ، وفي الفترة الهامة التي تقوضت فيها دعائم المملكة الفارسية ، بسط أحمد شاه حمايته على شاهرخ حفيد نادر شاه الذي كان أعداؤه قد سملوا عينَيه ، وأقام له إمارة في خراسان ؛ وكانت هذه الولاية في الواقع جزءاً من أملاك أحمد شاه وابنه تيمور شاه اللذين ضرب كل منهما السكة باسمه من حين إلى حين في مشهد ،

ولكن شاهرخ ظل يحكم بالاسم حتى اعتقل على يد آغا محمد قاجار بعد وفاة تيمور شاه ؛ على أن هراة عوملت معاملة الجزء القائم بنفسه من المملكة الدرانية ، وظلت مملكة خراسان القديمة مقسمة بين فارس وأفغانستان .

وجعل أحمد شاه قندهار قصبةً لملكه وسماها أحمد شاهي ، وهو الاسم الذي ضربه هو وخلفاؤه على سكتهم ؛ واتخذ لنفسه لقب « درّ دُرّان » ، وأصبحت قبيلته الأبدالية (انظر هذه المادة) تعرف باسم « درّاني » (انظر هذه المادة) ؛ وكانت أسرته منذ أمد طويل محط الأنظار ، فاستطاع بفضل هذا وبفضل ما كان عليه من كياسة وعلو همة أن يوطد سلطانه ، فقد عامل القبائل برفق ، واعتمد في موارده على الحروب الخارجية أكثر من اعتماده على الضرائب ؛ وكان الدرّانية يفخرون به ويتبعونه عن رضاً ، ولكنهم لم يكونوا بالقوم الذين يسهل

قيادهم ، ولذلك فإن ابنه تيمور شاه نقل قصبته إلى كابل التي كان معظم سكانها من التاجيك ؛ ولم ينافس أحمد شاه في فتوحاته الهندية نادر شاه فحسب بل بزَّه فيها أيضاً ، ومد أملاكه إلى ما وراء نهر السند بكثير ، وضم إليها ولايات كشمير ولاهور وملتان ، أي أنه ضم الجزء الأكبر من البنجاب وبسط سلطانه على الداودپوتراوية في بهاولپور .

ولقد فتح أحمد الهند عدة مرات ، واحتل دلهي أكثر من مرة ، وكانت هزيمته للمراطها في پانيبيت سنة ١١٧٤ هـ (١٧٦١ م) نقطة تحول في تاريخ الهند ، ولكنه لم يضم إلى أملاكه أية ولايات تقع فيما وراء البنجاب ؛ وكانت حروبه مع السيخ متصلة لا تنقطع وقد انتهت بفقد ولاية البنجاب ، وكذلك أعلن خان كلات ناصر خان البراهوئي - وكان من أمراء أحمد المقطَعين - استقلاله سنة ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) ؛ وحاصر أحمد شاه كلات فلم يظفر

منها بطائل ، فلما دعي إلى الهند قنع بخضوعها له خضوعاً اسمياً بحتاً . على أن ناصر خان عاون أحمد شاه في حروبه بخراسان ، وأسهم بقدر كبير في انتصاره على كريم خان زند سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) . وفي هذه الحرب انضم الأمير الأفشاري الضرير إلى كريم خان وآواه في مشهد التي قهرها أحمد بضرب الحصار عليها .

ومن شاء زيادة في التفصيل فليرجع إلى مادة « أحمد شاه درّاني » ؛ وتوفي أحمد في مرغاب بالتلال القريبة من قندهار سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) تاركاً لخلفه إمبراطورية مترامية الأطراف غير مأمونة .

وكان تيمور شاه قد تولى في حياة أبيه مناصب ذات خطر مثل « نظام » لاهور وملتان ، وهو منصب تدل عليه شواهد من مجموعة متمايزة من العملة ، ولما توفي أحمد شاه كان تيمور شاه في هراة ، ولم يستطع

أن يستولي على قندهار إلا بعد أن قبض علـى أخيـه سليمان ـ الذي كان قد أقيم لمنافسته ـ وقتله ؛ ولـم يلبث أن نقل قصبته إلى كابل ، وحكم عشرين عاماً خاليـة من الأحداث اضمحلـت فيها قوة المملكـة وتزعزع استقرارها ، وإن كانت أطرافها لم تنتقص .
وكان سلطان الحكومة المركزية على الولايات القائمة في الأطراف واهيـة ، وازدادت قوة السيخ واستولـوا علـى ملتان سنة ١١٩٦ هـ (١٧٨١ م) ، ولـكن تيمور استردها في السنة نفسها . وفي السند أطيـح بشيوخ الإقطاع الكلهوراوية وحل محلهم أمراء بلوچ من قبيلة تالبر (وغلب عليهم اسم التالبرية) ، وقد شن هؤلاء الأمراء الحرب على جيوش تيمور شاه من سنة ١١٩٧ إلـى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٢ ـ ١٧٨٦ م) وظلوا مستقلين علي الرغم من خضوعهم له بالاسم ؛ وهاجم تيمور أيضاً أمير بخارى معصوم المنغيتي الـذي كان يعتدي علـى ولايـة التركستان

وخاصة مرو ، فخضع لتيمور بالاسم هو الآخر ولكنه احتفظ بجميع فتوحاته ؛ وكانت قد شبّت أيضاً فتنة في كشمير ثم أخمدت ، وفي الداخل كان سلطان عشيرة باركزائي من الدرانية يتعاظم شيئاً فشيئاً ؛ وتوفي تيمور شاه سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣ م) وخلفه ابنه زمان شاه الذي ظل في الملك حتى خلعه أخوه محمود شاه عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) ؛ وعلى قصر عهد زمان شاه فإنه استطاع أن يجمع فيه من الجرائم والحماقات ما هو كفيل بإغراق المملكة الدرانية ، وكانت المنافسة بينه وبين أخويه محمود وشجاع الملك تضعف مركزه في الداخل ، وكان القاجار يهددون ملكه في خراسان ويتهدده الشاه مراد المنغيتي في الشمال ، ويتحداه في الجنوب خان كلات وأمراء السند ، ومع ذلك لم يحجم عن استنفاد جهده في محاولات حمقاء لمنافسة أحمد شاه في فتوحاته بالهند

والـظهور بمظهر المدافع عن الإسلام ضد السيخ والمراطها . وأدى فعله هذا إلى الاصطدام بالإنكليز الذين كان سلطانهم ينمو بسرعة حتى أصبحوا القوة الغالبة في شمالـي الهند ؛ وفي عام ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م) توقفت غزوته الأولى عند حسن أبدال عندما بلغه الخبر بأن آغا محمد قاجار قد استولى على مشهد وقتل الشيخ الضرير شاهرخ . وهدأت ثائرته عندما وصلت بعثة من قبل الملك الفارسي وبدأ يقوم بغزوته الثانية للهند ، غير أن انتقاض محمود في هراة قطع هذه الغزوة . وما إن أخمد هذه الفتنة حتى غزا البنجاب ، ووصل في هذه المرة إلى لاهور وخضع له السيخ خضوعاً اسمّياً وكان يتزعمهم آنذاك رنجيت سنغ ، ولـكن عدوان القاجار المتكـرر في خراسان حمله على الرجوع مرة أخرى . وفي هذه الأثناء كان محمود يتنقل في البلاد يتآمر على أخيه مع الساخطين في هراة وقندهار ، وكـان من بينهم زعيـم عشيـرة

باركــزائي « پاينده خان » الملقب « سرفراز خان » الذي كان يَنفس على الوزير وفاء دار خان السلـطة التي يتمتع بها . واكتشفت المؤامرة فقتل پاينده خان ، وفر ابنه فتح خان لاجئاً إلــى محمود في خراسان وأغراه بالارتماء في أحضان قبيلــة دراني استدراراً لعطفها لأنها كانت تكره زمان شاه (كانت أم زمان شاه من اليوسفزائيــة ، أما أم محمود فكــانت فوفلزائية من الدرّانيـة) . وأثبتت النتيجة صحة هذه النصيحة ؛ إذ استولى محمود على قندهار على حين كان المفتون زمان شاه يتجهز لحملــة أخرى علــى الهند . وسار محمود إلى كابل ففر زمان شاه ولكنه لـم يلبث أن اعتقل وسملــت عيناه سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) . وبينما كان محمود يرقى عرش كابل كان شجاع الملك ينادي بنفسه ملكاً في پشاور ، وقد ساعده على ذلك فتنة أثارتها الغلزائي على محمود ؛ وفي عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) استولــى شجاع

الملك على كابل وسجن محموداً وأطلق سراح أخيه الشقيق زمان شاه الضرير . وظلت قندهار مدة من الزمن في يد ابن محمود : كامران يؤ يده فتح خان ، ولكن فتح خان اصطلح مع شجاع على شروط مراعياً مصلحته هو وخضع له ، غير أنه لم يرض بنصيبه ولم يلبث أن أقام ملكاً منافساً لشجاع في شخص قيصر شاه ابن زمان شاه ؛ وانقضت السنوات القليلة التالية في مؤامرات لا تنقطع ، تقلب فيها فتح خان بسرعة في نصرته للطامعين في الملك فتارة يؤيد محموداً وكامران وتارة يؤيد قيصر ، على حين استنفد شجاع الملك قوته في إنفاذ الحملة تلو الحملة على السند وكشمير ؛ وأخيراً هَزم فتح خان ـ الذي كان يؤيد آنئذ محموداً ـ شجاعَ الملك عند « نِمْلة » سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) ففر شجاع الملك إلى الهند وبذلك بدأ العهد الثاني لمحمود في الحكم . على أن محموداً كان يعتمد اعتماداً مطلقاً على فتح خان فاستفحل

سلطانه ، وتولى أخوه دوست محمد منصباً رفيعاً ، وأصبح أخ ثان له هو محمد أعظم والياً على كشمير ، وأخ ثالث يدعى « كوهندِل » والياً على قندهار . وكانت هراة قد غدت مستقلة تحت حكم أمير آخر فأعاد فتح خان ودوست محمد فتحها سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) . ولم يلبث دوست محمد أن استثار عداوة كامران الذي كان قد أصبح والياً من الولاة ، ذلك أنه اقتحم حريم كامران وأهان أخته . وهنالك فر إلى كشمير وأنزل كامران انتقامه بفتح خان فسمَّل عينَيه ثم قتله بموافقة محمود . على أن الأفغان كانوا يعجبون أشد الإعجاب بفتح خان على الرغم من غدره وعدم استقامته ، فلم يجد أخوه دوست محمد أية صعوبة في تجهيز جيش قوي هزم به محموداً سنة ١٢٣٥ هـ (١٨١٨ م) قرب كابل . وفقد محمود كابلَ ولم يستردها من بعد قط ، واحتفظ بهراة حتى توفي سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) ، وظل كامران

يحكم هناك حتى قتل سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) .

[لونكويرث ديمز M . Longworth Dames]

(ب) البيت الباركزائي
(أو المحمدزائي)

وتنتسب المحمدزائي - وهي فرع من باركزائي قندهار الدرانية - إلى محمد ، وهو معاصر لملك سدو زعيم العشائر الأبدالية عاش معه بين قبيلته الصغيرة في أرغسان جنوبي شرق قندهار حوالي سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ م) ؛ واتخذ أعقابه لقب الزعيم بين القبائل الباركزائية في قندهار وبرزوا مع حاجي جمال خان ابن حاجي يوسف بن يارو بن محمد الذي عمل في ظل أحمد شاه وتوفي سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ - ١٧٧١ م) ؛ وقد أدى ابنه پاينده خان

خدمات جليلة لتيمور شاه في قمعه لحركات العصيان ، ولكنه أعدم في قندهار سنة ١٢١٤ هـ (١٨٠٠ م) للمؤامرات التي دبرها مع محمود لشاه زمان . وقد ترك پاينده عدداً من الأبناء أقيم أكبرهم فتح خان وزيراً ولُقِّب بشاه دوست بمناسبة احتلال محمود لكابل سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) وبازدياد سلطان المحمدزائي تعارضت أطماعهم مع أسرة سدوزائي الحاكمة وأغرق ذلك أفغانستان في نضال وإهراق للدماء حتى استطاع دوست محمد أن يطرد محموداً من كابل بعد قتل أخيه هو فتح خان سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ - ١٨١٩ م) .

وما وافَى هذا الوقت حتى كان زعماء باركزائي قد سيطروا على معظم البلاد ، فحكموا أول الأمر باسم ملوك شتى من أسرة سدوزائي كانوا ألعوبة في يد غيرهم ، مثل أيوب وسلطان علي (اتخذ اسم سلطان محمود على سكته) ؛ وظلت الأمور تجري

علـى هذا المنوال حتى سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) وهنالك اتخذ دوست محمد رسميّـاً لقب « أميـر كابل » ، ولـكن لم يلقب بالشاه أو الملك لاهو ولا أحد من خلفائه حتى جاء حبيب اللّه . وفي السنوات الأولـى من حكمه فُقدت سريعاً الولايـات الخارجيـة للإمبراطورية ، فقد استولـى السيخ علـى ملتان سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٣ م) ، وعلـى كشميـر سنة ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م) ، وعلى ديره غازي خان في السنة نفسها ، وعلـى ديـره إسماعيل خان سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) ؛ وقاومتهم پشاور في ظل سردار سلـطان محمد ـ أخي دوست محمد ـ مدة طويلـة ، ولـكنها سقطت سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

ومحا أمراء السند باستيلائهم على « شكـارپور » آخر مظهر من مظاهر السيـادة الأفغانيـة ، وسقطت كذلك بلخ شمالي هندوكُش ؛ وبذلك أصبح دوست

محمد حاكماً لمملكة أفغانية موحدة ، وساعده على دعم سلطانه فقدان الولايات الخارجية التي كانت دائماً مصدر ضعف للملوك السدوزائية ؛ وكان دوست محمد لا يأخذه إلٌّ ولا رحمة في سبيل بلوغ غايته ، ومع ذلك فقد اشتهر بالعدل وكان محبوباً بين الأفغان ؛ وقد عاقت نجاحه المنافسات المحتومة بينه وبين إخوته ؛ وجعل دوستُ كابلَ قصبةً لمملكته ، في حين احتفظ كوهندل خان بقندهار وأحبط محاولة بذلها شجاع الملك السدوزائي لاستعادتها سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ؛ واستولى الفرس على هراة بعد قتل كامران بيد وزيره يار محمد خان سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) ولم يستردها دوست محمد إلا سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) قبيل وفاته .

وبعد أن أخفق شجاع الملك في قندهار حاول الاستعانة بالبريطانيين ، وأدت الحوادث السياسية إلى حصوله عليها في النهاية ، وقد فشل بيرنز *Burnes*

Alexander في مفاوضة دوست محمد لعقد معاهدة معه ، وازداد نفوذ روسيا فحمل ذلك الحكومة الهندية على تأييد مطالب شجاع الملك . وفي ذلك الوقت ، أي في سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) كان الفرس قد حاصروا هراة ، ودار في الأوهام أن عملياتهم الحربية كان يوجهها الروس فتولى ضابط بريطاني الإشراف على الدفاع عنها ، وبذلك بلغت الأزمة غايتها ، وتقدم جيش إنكليزي هندي مخترقاً السند وممر بولان إلى قندهار في نهاية سنة ١٢٥٤ (فبراير سنة ١٨٣٩) واستولى على المدينة ثم سار إلى كابل ؛ وهرب محمد إلى بخارى وأقيم شجاع الملك على عرش كابل في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٥٥ (١٧ أغسطس سنة ١٨٣٩) . وقام دوست محمد ببعض العمليات الحربية الفاشلة في الشمال ، ثم سلم نفسه للبريطانيين في السنة التالية وحمل إلى كلكتة .

وكان عهد شجاع الملك عهد اضطراب وقلاقل

وانسحب الجيش البريـطاني الهندي من كابل سنة ١٨٤١ ، وكاد أن يباد عن آخره في انسحابه بممر « خرد كابل » ، وكان يقود هذه العمليـات الحربيـة محمد أكبر خان بن دوست محمد . وظل البريطانيون يحتفظون بجلال آباد وقندهار ، وعادوا إلـى احتلال كابل في خريف عام ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) ، وقتل شجاع قبيل ذلك ، ونادى الفوفلزائية بابنه فتح جنك وإن كان الپاركزائية عارضوهم في ذلك ، ولـم يلبث البريطانيون أن تركـوا أفغانستان وصحبهم فتح جنك ومعه زمان شاه الشيخ الضريـر ، وكـان لا يزال بعدُ على قيد الحياة ، لأنه كان يعلم أنه لا يستطيع وحده الاحتفاظ بملكـه فيها ؛ وأعيـد دوست محمد إلـى أفغانستان لأنه كان الرجل الوحيـد الـذي يستطيع أن يقيـم فيها حكـومة وطيـدة الأركـان . وأعيـد أبناؤه وإخوته إلى إماراتهم ، ولكن الشقاقات ظلـت تمزق من حين إلى حين وحدَة العشيرة ، بل إن أكبر خان ـ

الذي أصبح آنئذ وزيراً ـ كان على علاقات سيئة بأبيه حتى وفاته سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ م) ، وحافظ دوست على علاقاته الطيبة بالبريطانيين ، اللهم إلا في الفترة التي حدثت فيها حرب السيخ عام ١٨٤٩ ، إذ جلبت الفرقة الأفغانية على نفسها السخرية من جراء فرارها السريع بعد معركة كجرات ، زد على ذلك أن دوست محمد لم يؤيد البريطانيين أي تأييد أثناء عصيان الجيش الهندي سنة ١٨٥٧ ؛ وصرف همه إلى تقوية بلاده ففتح ما بين سنتي ١٢٦٧ و ١٢٧٢ هـ (١٨٥٠ ـ ١٨٥٥ م) بَلْخ وخلْم وقُنْدُز وبذخشان ؛ وفي سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) وفق إلى طرد الفرس من هراة ، وتوفي هناك بعد استردادها مباشرة .

وكان دوست ملكاً صالحاً على الرغم من أخطائه الواضحة (انظر مادة « دوست محمد خان ») .

ولم يلبث خامس أبنائه شير علي ـ وكان دوست قد عهد إليه ـ أن اشتبك في فتنة بينه وبين أخوَيه الأكبرَين محمد أعظم ومحمد أفضل ومع عبد الرحمن ابن محمد أفضل القدير القوي العزم (أنظر عن هذه الحروب مادة « عبد الرحمن خان ») ؛ وهزم شير علي سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وفقد كابل أول الأمر ثم قندهار ؛ وتولى الحكم أفضل ثم أعظم حتى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) ، ولكنهما لم يستوليا قط على هراة ، إذ خرج منها محمد يعقوب بن شير علي وتقدم في هذه السنة فاسترد لأبيه قندهار وكابل ؛ وأصبح شير علي آنئذ مسيطراً على أفغانستان كلها ، واعترفت به الحكومة الهندية ، وقابل نائب الملكة لورد مايو في أمباله سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) ، على أنه لم يرض عن المعاملة التي عومل بها ، ذلك أنه لم يستطع الحصول على وعد محدد بتأييده على الدول الأخرى ؛ وفي هذا الوقت اعتقل ابنه محمد

يعقوب صاحب الأطماح واستاء من محاولة نائب الملكة التدخل لصالحه ، وقبل أن يتولى ضابط من البريطانيين أمرالتحكيم في حدود سجستان التي كانت تنازعه فيها فارس ، وانتهى هذا التحكيم سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) بمنح فارس جزءاً كبيراً من أخصب الأراضي ، وكان هذا سبباً آخر من أسباب استيائه ، وأخيراً بدأ يفاوض الروس ورفض أن يستقبل سفارة بريطانية ، وأدت هذه الأمور إلى قيام حرب السنوات ١٨٧٨ ـ ١٨٨٠ ، واستولى الجيش البريطاني على كابل ، وهرب شير علي إلى مزار شريف حيث توفي سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م (انظر أيضاً مادة « شير علي ») وقد هزم جيشه المنظم على النمط الأوربي اللورد روبرتس في ممر پيوار .

وأطلق سراح محمد يعقوب من سجنه ونودي به أميراً بعد فرار والده في ربيع الأول سنة ١٢٩٦ (فبراير ـ مارس سنة ١٨٧٩) ، وقد لقي القوات

البريطانيــة المتقدمة عند « كَنْدَ مَك » وعقد هناك معاهدة في ٤ جمادى الآخرة (٢٦ مايــو) نزل بمقتضاها للهند البريطانية عن أراض معينة بالقرب من ممر بولان ووادي كرم ، ووافق على أن يستقبل بعثة بريطانية في كابل ؛ وبعد أشهر قلائل شبت فتنة في كابل انتهت بذبح أعضاء هذه البعثة التي كان يرأسها السير لويس كاڤانياري Sir Louis Cavagnari ؛ وأدى ذلك إلى قيام الحرب من جديد ، فاستولى روبرتس على كابل مرة أخرى ، ولكن جيشاً قبلياً يقوده محمد خان والملاّ مشك عالــم حاصره فيها ؛ وهزم هذا الجيش فخلع يعقوب خان ونفي من الهند ، وعرض الحكم على عبد الرحمن فقامت في قندهار حكـومة مستقلة . وسار قسم من الجيش في قندهار إلى كابل بقيـادة ستيــوارت تمهيــداً للجلاء عن البلاد ؛ فلما اخترق منازل الغلزائي هاجمته قوة كبيرة من أهل هذه القبيلــة ، ولــم تنزل بها الهزيمة إلا بعد قتال

مستيئس ، وما إن نودي بعبد الرحمن أميراً حتى كان ابن من أبناء شير علي هو أيوب قد استكمل جمع جيش في هراة ؛ وسار به إلى قندهار ، وهزم قوة إنكليزية هندية صغيرة عند « مَيوَنْد » وحاصر قندهار ؛ فأسرع روبرتس من كابل وهزم أيوب ، وبعد ذلك انسحب الجيش البريطاني وولى عبد الرحمن على البلاد كلها بما فيها قندهار سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ؛ وقد حافظ عبد الرحمن على وحدة أفغانستان واستقلالها على الرغم من المشاكل التي صادفته في الداخل والخارج (انظر مادة « عبد الرحمن خان ») ، فلما أدركته المنية في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ (أول أكتوبر سنة ١٩٠١) سلم ابنه حبيب اللّه سلطاناً لا ينازعه فيه منازع . وبعد اعتلاء حبيب اللّه العرش بقليل عقدت معاهدة بين الروس والبريطانيين أزالت المخاوف من أن تضم دولة منهما أراضي من أفغانستان أو تتدخل في

شؤونهــا ،وفي سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) أيد الأمير المعاهدة التي سبق أن عقدها أبوه مع حكـومة الهند البريطانية ، تلك المعاهدة التي كفلت لهـذه الحكومة الإشراف علـى العلاقات الخارجيـة لأفغانستان نظيـر إعانة سنوية قدرها ثمانية عشر « لّخ » من الروبيـات (١٦٠,٠٠٠ جنيه إنكليزي) . أما في الداخل فلم يعكر شيء تقريبا صفو السلام والأمن ، وحقق التعليم بعض التقدم . والتزمت أفغانستان أثناء الحرب العالميـة الأولـى سيـاسة الحيـاد ، وفي ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ (٢٠ فبراير سنة ١٩١٩) أطلـق الرصاص علـى حبيـب اللّـه خان في معسكـره بقلعة كوش في لغمان ، ونادى أخوه نصر اللّه بنفسه خليفة له ، ولـكن الابن الثالـث للأميـر الـراحل أمان اللّـه اعتقله وسجنه ، وكان أمان اللّه قد حصل على تأييد الجيش .

ولـم يلبث أمان اللّه خان أن فتح باب العداوات مع

الهند البريطانية ، ولكنه سعى بعد شهر فقط إلى عقد هدنة ، واعترف رسميـّـاً باستقلال أفغانستان في معاهدة راولپندي في ١١ ذي القعدة ١٣٣٧ (٨ أغسطس سنة ١٩١٨) ؛ وعقدت معاهدات جديـدة مع الاتحاد السوفيتي وبريطانيا العظمى سنة ١٩٢١ ، على أن التوتر استمر علـى الحد الشمالـي حتى سنة ١٩٢٢ ، وعلى الحدود الجنوبيـة الشرقيـة حتى سنة ١٩٢٤ ، وفي سنة ١٩٢٢ صدر دستور في جمعيـة وطنية (لوه جركا) أعقبه سنة ١٩٢٣ قانون إداري ، وتلت ذلك سنة ١٩٢٤ إجراءات لتوفير التعليم العالي للمرأة ؛ ولما شبت نار فتنة في خوست بزعامة الملاًّ عبد الكريم ألغيت الإجراءات الأخيرة وعدلت قوانين التجنيد في مجلس وطني آخر (يوليـه سنة ١٩٢٤) وأخمدت الفتنة آخر الأمر ؛ على أن الملك أمان اللّه الذي اتخذ لقب الملك في ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، قد دعا في جمعية وطنية ثالثة بعد عودته من رحلة في الهند

وأوربا والاتحاد السوفيتي وتركيـــة (من ديسمبر سنة ١٩٢٧ إلى يوليه سنة ١٩٢٨) ، إلـى إصدار دستور آخر ، وإعلان برنامج للإصلاحات الاجتماعيـة والتعليميـة ؛ ونشأ من ذلك قيـام سلسلـة من الفتن القبلية خرج خلالها قاطع طريق تاجيكي اسمه باچچه سقاو ـ ثم لقب من بعد بحبيـب اللّـه خان ـ من كوه دامن واستولى على كابل في ينايـر سنة ١٩٢٩ ؛ وفرّ أمان اللّه إلى قندهار وباءت محاولاته لاستعادة كابل بالهزيمة على يد أنصار حبيب اللّـه من الغلزائيـة في أبريل ـ مايو سنة ١٩٢٩ ، وفي هذه الأثناء كانت هراة قد احتلها تاجيكي آخر يدعى عبد الرحمن .

وهنالك تبنى قضية المحمد زائيـة فرع بعيـد من فروع القبيلة انحدر من پاينده خان يتزعمه قائد جيش سابق كان يعيش في الأسر وهو نادر خان (ابن محمد يوسف خان بن يحيى خان بن سلطان محمد خان أخي دوست محمد) ؛ واستطاع نادرخان بعد عدة

محاولات فاشلة أن يجند سرّاً جيشاً من الوزيرية والمحسودية استولى بقيادة أخيه شاه ولي خان على مدينة كابل حيث نودي بنادر خان ملكاً ولقب بنادر شاه في اليوم الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ (١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٩) ، وسلَّم حبيب اللّه وقتل ؛ واقتضى نشر لواء الأمن وتهدئة الخواطر في البلاد سنَتين أُخريين ، وظل السخط يسري بين مؤيدي أمان اللّه السابقين ، وكان أكثرهم نشاطاً أسرة چرخي في لوغر ، وقد أدى إعدام زعيمها إلى قيام نزاع دموي اغتيل أثناءه الملك نادر شاه في قصر دلكشا في ٢٠ رجب سنة ١٣٥٢ هـ (٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣) ؛ ونودي بابنه محمد ظاهر الذي كان في سن التاسعة عشرة خليفة له على يد إخوة نادر شاه الذي ظل أكبرهم سردار محمد هاشم خان يمارس الوصاية الفعلية على العرش حتى سنة ١٩٤٦ ؛ وقد أخمدت بشدة عدة فتن قبلية اشتعلت في الأعوام

التالية ، ونفذ في دأب برنامج فعال للتطور العسكري والتعليمي والاقتصادي ، وفي سنة ١٩٣٤ دخلت أفغانستان هيئة الأمم وأبرمت سنة ١٩٣٧ ميثاق سعد آباد مع تركية والعراق وإيران ، وأجريت مفاوضات سنة ١٩٣٦ لعقد اتفاق تجاري مع الاتحاد السوفيتي ؛ والتزمت أفغانستان في الحرب العالمية الثانية الحياد الدقيق مرة أخرى ؛ وسُوِّيت المنازعات الباقية على الحدود سنة ١٩٤٧ ، فَسُوِّيت مسألة الحد الشمالي مع الاتحاد السوفيتي ، وسُوِّيَ النزاع مع إيران على نهر هلمند بالتحكيم الأمريكي . على أنه حدث منذ قيام باكستان في السنة نفسها أن ظلت مشكلة قبائل « الحد الشمالي الغربي » المتمردة (انظر مادتي « آفريدي » و « مهمند ») ـ التي استمرت قرناً تعكر صفو العلاقات بين أفغانستان والهند البريطانية ـ تفسد الصلات كذلك بين الدولتين الإسلاميتين .

« لو نكويرث ديمز وكَب »

الفهرس

كتب دائرة المعارف الإسلامية

١ـ أفغانستان

٢ـ الأندلس

٣ـ البدو

٤ـ علم التاريخ

٥ـ أصول الفقه الاسلامي

٦ـ الابرج في العمارة الاسلامية الحربية

٧ـ تفسير القرآن الكريم

نشأته ـ تدرجه ـ تطوره

٨ـ الجغرافية عند المسلمين

٩ـ أفلاطون

تصوره للإله واحد

ونظرة المسلمين إلى فلسفته

١٠ـ الجريدة والصحافة عند المسلمين

١١ـ ألف ليلة وليلة.

ويتبع..

